الباب الثاني

الفرق بين المعجزات
وغيرها من خوارق العادات

ليهلك من هلك عن بينه
ويحى من يحى عن بينة
الأنفال : ٤٢ .

الفصل الأول
المعجزة والسحر

- تعريف السحر.

- أنواع السحر.

- حقيقة وجود السحر.

- تأثير السحر والفرق بينه وبين المعجزة .

١ ـ تعريف السحر

السحر في اللغة: كل ما لطف مأخذه ودق، والجمع أسحار وسحور[١] «والساحر العالم»[٢] وكذا من يمارس السحر .

وبالنظر في معاجم اللغة نلاحظ أن مادة(سحر) تكاد تدور حول معنى واحد تقريبا هو «تمويل الشيء عن وجهه أياً كان هذا التحويل سواء كان حقيقياً أو مجازياً»[٣] وعرفه القدماء والمحدثون تعريفات كثيرة كل منها يعبر عن رأي، صاحبه في وجود السحر وفي تأثيره وقبل الحديث عن وجوده وتأثيره نتوقف قليلا عند أنواعه وأقسامه حتى تكون معرفتنا به أكثر وحتى يكون حديثنا عن وجوده وتأثيره عن علم .

٢ ـ أنواع السحر:

يفرق بعض القدماء والمحدثين بين السحر والطلسمات والشعبذة، والنيرنجات والكهانة، وتسخير الجان . . . . . الخ فيقولون :

إن (السحر) هو تأثير في عالم العناصر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين، والساحر مفطور على تلك الجبلة المختصة بذلك النوع من التأثير[٤] .

«والطلسم عبارة عن تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأحداث ما يخالف العادة أو للمنع مما يوافق العادة» [٥] .

«وهو أضعف رتبة من الأول وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد، وخواص الموجودات، وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر، كما يقول المنجمون، ويقولون السحر اتحاد روح بروح والطلسم اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجامة[٦]

---

(١) انظر الرازى:مختار الصحاح ص ٢٨٨ وانظر عبد السلام هارون وآخرون :المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٣٥ .

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٤٣٤ .

(٣) عبد السلام السكرى:السحر بين الحقيقة والوهم ص ٢٧ .

(٤) انظر ابن خلدون :المقدمة ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠١ .

(٥) الرازى : النبوات ص ٢٠٧ . (٦) انظر ابن خلدون :المقدمة ص ٤٩٨، ٥٠١ .

والشعوذة أو الشعبذة هي «تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقي فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة، وصوراً مما يقصد من ذلك ثم ينزلها إلى الحس من العين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظر العين كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك، كما يحكى عن بعضهم أنه يرى البساتين والأنهار والقصور، وليس هناك شيء من ذلك»[1]

وورد في المعجم الوسيط «شعبذ شعبذة: مهر في الاحتيال وأرى الشيء على غير حقيقته معتمدا على خداع الحواس»[2]

والكهانة: هي الإخبار بالغيب. ففي المعجم الوسيط «كهن له كهانة: أخبره بالغيب»[3].

وقال القاضي عياض:[4] «الكهانة: ادعاء علم الغيب» سواء عن طريق تسخير الجن أو عن أي طريق آخر. يقول ابن خلدون:[5] إن «علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم».

وأما تسخير الجان: فيقال إن للجن القدرة على الإخبار بالغيب وعلى التأثير في عالم العناصر، وسيأتي تفصيل الكلام عن ذلك في مبحث (تأثير السحر).

وهناك أيضا الحيل القائمة على الخديعة، وخفة اليد.

وهناك النِّيرَنْج: وهو ما يكون من تأثير خواص الأجسام العنصرية.

وإذا كان أصحاب هذا الاتجاه يفرقون بين هذه الأنواع فهناك اتجاه آخر يجمع أصحابه هذه الأشياء كلها تحت مسمى واحد.

فالآلوسي يجعل من مصطلح (السحر) مصطلحا عاما يشمل ما هو حقيقي، وما هو مجازي.

يقول الآلوسي:[6] «وأما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات... وبمعونة الأدوية كالنِّيرَنْجات أو يريه صاحب خفة اليد فتسميته سحرا على التجوز».

---

(١) السابق ص ٤٦٨.
(٢) عبد السلام هارون وآخرون: المعجم الوسيط جـ١ ص ٥٠٣.
(٣) السابق جـ٢ ص ٥٣٨.
(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ٣ ص ٢٤٣٩.
(٥) ابن خلدون: المقدمة ص ١٠١.
(٦) الآلوسي: روح المعاني جـ١ ص ٣٣٨.

والرازي كذلك يصرح بأن للسحر أنواعا عشرة

ـ النوع الأول: وهو أعظمها قوة، وأشدها تأثيراً، على ما يقال: السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم .

ـ النوع الثاني: من أنواع السحر: السحر المبني على قوة الوهم وتصفية النفس.

ـ النوع الثالث: السحر المبني على خواص الأدوية المعدنية والنباتية والحيوانية

ـ النواع الرابع: السحر المبني على العزائم والرقى، ويدخل في هذا الباب: السحر المرتب على الاستعانة بالأرواح السفلية المسماه بالجن والشياطين .

ـ النوع الخامس من السحر: السحر المبني على الاستعانة بالأرواح الفلكية .

ـ النواع السادس من السحر: ما يكون مبنيا على الشعوذة، والسعي في إراءة مالا وجود له في الخارج، ومنه نوع يقال له: الأخذ بالعيون.

ـ النوع السابع من السحر: ما يكون مبنيا على أعمال خفة اليد.

ـ النوع الثامن: السحر المبني على الفأل والزجر، وهذا النوع أيضا أقسام:

* فأحدها: وهو أجودها ـ: علم الفراسة

* وثانيها: علم الرمل

* وثالثها: علم اختلاج الأعضاء

* ورابعها: علم النظر في الأكتاف

* وخامسها: علم ضرب الأحجار

* وسادسها: علم النظر في الغضون، والأسرة الموجودة في كف اليدين، وأخمص القدمين وكذا علم النظر في الخيلان الموجودة على ظاهر البدن.

* وسابعها: العلم المأخوذ من كيفية طيران الطيور عند أوكارها، واعتبار السانح، والبارح منها، وكيفية أصواتها عند التوجه إلى الإنسان، وعند الانصراف عنه.

* وثامنها: علم التفاؤل بجميع أنواع الحوادث في معرفة العسر واليسر.

- النوع التاسع من السحر: المبني على إطعام الطعام الذي يوجب قلة العقل، وضعف الرأي، وبلادة الطبع، ثم إذا صار الإنسان كذلك فحينئذ يسهل تصريفه وتحريكه كيف أريد.

- النوع العاشر: السحر المبني على ترويج الأكاذيب، وأنواع المكر والخداع، وفيه الطرق التي توجب تسليط الخوف على القلوب وعند استيلاء الخوف. يسهل ترويج أي شيء أريد(١).

ويصرح ابن حزم أيضا أن للسحر ضروبا، فمنه ما هو من قبل الكواكب، ومنه ما يكون بالرقى، ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد، وما أشبه ذلك، ومنه ما يكون لطف يد (٢).

ويقول ابن خلدون(٣) «والشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا».

فنحن الآن بين اتجاهين: اتجاه يرى أن السحر جنس يدخل تحته عدة أنواع، واتجاه آخر يرى أن السحر ما هو إلا أحد هذه الأنواع فقط.

وأرى أن الراجح هو أن السحر جنس يدخل تحته عدة أنواع، ويتأكد ذلك ويتضح لنا بالنظر إلى الأصل اللغوي لكلمة(سحر)، فقد سبق أن قلنا إن السحر هو كل ما لطف مأخذه ودق، وقلنا إن مادة سحر تكاد تدور حول معنى واحد تقريبا هو تحويل الشيء عن وجهه أياً كان هذا التحويل سواء كان حقيقياً أو مجازياً وما فعله سحرة فرعون قيل إنه شعبذة وقيل إنه حيل خفية، وبالرغم من ذلك سماه القرآن سحراً.

كما أنه روي عنه ﷺ أنه قال: (٤)«من اقتبس علما من النجوم، اقتبس شعبة من سحر» فسمي ﷺ علم النجوم سحراً.

---

(١) انظر الرازى: النبوات ٢٠٠، ٢٠٣.
(٢) انظرابن حزم:الفصل جـ٥ ص ١٠١، ١٠٢.
(٣) ابن خلدون: المقدمة ٥٠٢.
(٤) رواه أحمد فى مسنده جـ١ ص٢٢٧، ٣١١؛وابن ماجه فى سننه فى باب(٢٨)من كتاب الأدب؛وأبو داود فى الباب(٢٢)،(٥١) من كتاب الطب؛وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير.

وروى البخاري أن الرسول ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء، ولا يأتيهن، وكان السحر في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر، تحت راعوفة في بئر ذروان، وأنه ﷺ أتى البئر واستخرج السحر، وأمر به فدفن. فسمي الصحابة، والبخاري وغيره ذلك سحراً بالرغم من أن له جسما استخرج ودفن(١) وذلك يخالف الرأي القائل بأن السحر هو تأثير في عالم العناصر بالهمة فقط من غير آلة ولا معين(٢).

وهذا الخلاف حول تعريف السحر مرتبط بالخلاف حول وجود السحر، ومدى تأثيره، ومن ثم الفرق بينه وبين المعجزة وحكم الأديان فيه، لأن بعض القدماء والمحدثين لم يروا السحر إلا أحد هذه الأنواع فقط، وهو أنواع بعضها حقيقي وبعضها غير حقيقي وإنما يعتمد على الحيل والخدع، والحقيقي منها ليس له تأثير واحد، وإنما يتفاوت التأثير من نوع إلى آخر قوة وضعفا، كما أنه إذا كانت الأديان قد حرمت بعض هذه الأنواع لاقتضائها ما تحرمه فليس كذلك جميع الأنواع ثم إن هذه الأنواع التي حرمتها الأديان متفاوتة أيضا في درجة تحريمها

٣ - حقيقة وجود السحر:

نشير في بداية هذه الدراسة إلى أنه لا يعنينا في دراستنا هنا بالطبع إثبات وجود جميع هذه الأنواع بقدر ما يعنينا معرفة أقصى ما يمكن أن يقال في إثباتها عقلا ونصا و إثبات أنه بفرض وجود جميع أنواع السحر المدعاة فإن العقل المحض والواقع المشاهد واعتراف السحرة أنفسهم يضع المعجزة في مكانة لا ترقى إليها الشبهات .

والسحر من الأمور المتواترة وإذا كان كثير مما يحكيه العامة والخاصة في كل زمان ومكان عن خوارق السحرة لم يصل إلى حد التواتر، فالقدر المشترك بين هذه الروايات جميعها متواتر كشجاعة علي وسخاوة حاتم .

ويروي إمام الحرمين إجماع الفقهاء على وجود السحر حيث يقول: «واتفق الفقهاء على وجود السحر واختلفوا في حكمه، وهم أهل الحل والعقد، وبهم ينعقد

---

(١) انظر صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١٠ص ٣٤٥، ٣٤٧.

(٢) انظر ابن خلدون: المقدمة ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠١.

الإجماع، ولا عبرة مع اتفاقهم. .بالمعتزلة فقد ثبت السحر جوازا ووقوعا» [1] .

فالسحر ثابت وله حقيقة وإن ذهب عامة المعتزلة وأبو إسحاق الإستراباذى من أصحاب الشافعي إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه، وتخييل، وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة، والشعوذة.

ويرد أهل السنة على استدلال المعتزلة على ذلك بقوله تعالى﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[2] وقوله﴿سحروا أعين الناس﴾[3] بانه لا ينكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، لكن ثبت وراء ذلك أمور جوزها العقل وورد بها السمع، فليس في الآية التي احتجوا بها دلالة على أنه لا سحر إلا ما ذكره الله سبحانه في قوله﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾بل هذا سحر، وهناك ضروب أخرى من السحر أيضا[4] .

وفي العصر الحديث أصبح السحر يدرس في معاهد وجامعات عريقة منها جامعتي اكسفورد وكمبردج بانجلترا، وجامعة بون بألمانيا، وجامعة هارفارد بأمريكا وغير ذلك من الجامعات كثير على مستوى العالم، كما أن بعض الجامعات خصصت كليات مستقلة لدراسة البحث الروحي ولكثرة الراغبين وعدم اتساع الكليات انشئت معاهد في بعض الدول لاستيعابهم، ففي فرنسا نجد المعهد الروحي الدولي، ومركزه باريس، ونجد بانجلترا المعهد الدولي للبحث الروحي، ومركزه لندن، كما نجد معهد ماجناجونسون للبحث الروحي، وهكذا فعلت معظم دول العالم، فيما عدا الدول العربية والإسلامية، ولما لم تتسع الكليات، والمعاهد لتلك الدراسة التي أقبل عليها الشباب في الدول الأوربية افتتحت في بعضها هيئات وجمعيات ففي أمريكا حوالي(٢٥٠٠) جمعية مسجلة قانونياً وهناك (٤٨٠) كنيسة تمارس النشاط الروحي، وفي بريطانيا (٣٥٠)صحيفة مسجلة، و (٢٥٠) كنيسة [5] .

والقرآن الكريم، والسنة النبوية يؤكدان على وجود السحر، وعلى حقيقته،

---

(١) الجوينى : الإرشاد ٢٧١ . (٢) طه : ٦٦ . (٣) الأعراف : ١١٦ .

(٤) انظر القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٤٣٥، ٤٣٦ وانظر الباقلانى : البيان ٩٢ .

(٥) انظر محمد أنور القونى بجمعية تحضير الأرواح ص ٣ و انظر كذلك رءوف عبيد : الإنسان روح لا جسد جـ١ ص ٢٩٧ : ٣٠١ وانظر أنيس منصور : القوى الخفية ٢١٢ .

يقول تعالى:[1] ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان، ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

وجمهور العلماء على أن هذه الآية نص على إثبات السحر، وخالف في ذلك بعضهم وفسروها بقولهم:

أولا: قال تعالى: (وما كفر سليمان) و«ما» نافية أي أن ادعاء العلماء الشياطين بأن سليمان كان كافراً ادعاء منفي بما النافية، ولأن الجزاء من جنس العمل، ألصق الله تعالى بهم الكفر الذي ادعوه كذبا على سليمان عليه السلام، ووضح أنهم مستمرون في تعليم السحر للناس بواسطة الكتب التي يؤلفونها وينشرونها دون أن يكون لها أي أساس من الحقيقة، فالسحر بدعة ابتدعها وأشاعها علماء اليهود في بابل، ولا حقيقة له، ولا فائدة منه.

ثانيا: قال تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) أي أن الله تعالى بما النافية نفى نزول هاروت وماروت في مدينة «بابل»، والمعنى: ما أنزلت من شيء على أثنين من ملائكة السماء زعم اليهود أن اسميهما هاروت وماروت.

ثالثا: ادعى العلماء الشياطين من اليهود أن هاروت وماروت ـ ١ ـ علما البعض ـ ٢ ـ قالا لمريد التعلم: (إنما نحن فتنة فلا تكفر) ـ ٣ ـ وأن البعض الذي تعلم، قد تعلم من الملكين ما يفرق به بين المرء وزوجه.

وقد رد الله تعالى على هذه الدعوى ونفاها بما النافية، وعطف النفي على ما قبله، فقال: (وما يعلمان من أحد، حتى يقولا: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه).

لقد نفى القرآن الكريم تعليم الملكين لأى أحد بقوله تعالى: (وما يعلمان من

---

(١) البقرة: ١٠٢.

أحد)، وكل ما يترتب على دعوى أن الملكين علما، فهو منفي بنفي أن الملكين علما ومثل هذا التعبير - ولله المثل الأعلى - مثل قولك لصاحبك: (ما دخلت مكة، حتى تقول: إنني رأيت الكعبة، فتطلب مني أن أصفها لك). فإن نفي الدخول هو نفي للرؤية وهو نفي للوصف، أي أن صاحبك لا يحق له أن يطلب منك وصف الكعبة، لأنك لم تر الكعبة، وأنت لم تر الكعبة لأنك لم تدخل مكة .

رابعاً: ادعى العلماء الشياطين من اليهود أنهم يقدرون على الضرر بواسطة السحر، فرد الله هذه الدعوى بقوله: (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله)، لقد نفى أنهم قادرين على الضرر بواسطة السحر، لكن قد يحصل للإنسان وهم بأنهم يقدرون على ضرره، والوهم يضر بالإنسان، ويشوش عليه خواطره، كما يقول الشاعر: (إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه. . . وصدق ما يعتاده من توهم) ومن أجل ذلك بين أن ما يحدث من ضرر فإنه من الله نفسه، وقد ساق إليه الوهم ليتضرر الإنسان بالوهم لسوء فعله، وهذا المعنى مثل المعنى من قوله تعالى: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه)(١) أي أن من كانت نيته إلى الخير، ييسر الله له كل سبل الخير والخير والشر في العالم لا يحدثان إلا بإذن الله(٢).

وإذا كان هذا التفسير نص على نفي السحر، وسبق أن قلنا إن ذلك يخالف رأي الجمهور الذي نص على إثباته ورأى هذه الآية نصاً في إثباته على أساس تفسيرات كثيرة متعددة منها أن: «ما» في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) «موصولة في محل نصب عطفاً على السحر. . . والمراد بما أنزل على الملكين نوع أقوى من السحر»(٣).

«أو أن (ما) نافية، ولا ينفي ذلك السحر، لأن الشياطين هي التي تعلمه للناس»(٤) لا الملكين .

وقوله (حتى يقولا): «حتى حرف غاية. وهي. . . بمعنى إلى أن. . . وأجاز أبو

---

(١) التغابن : ١١ . (٢) انظر أحمد حجازي السقا في مقدمته لكتاب النبوات للرازي ٥١ - ٥٤ .

(٣) الجمل : الفتوحات الإلهية جـ١ ص ٨٦ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٤٤٠ .

البقاء أن تكون حتى بمعنى«إلا أن»قال: والمعنى: وما يعلمان من أحد إلا أن يقولا»[1] أي أنهما«لا يعلمان السحر إلا بعد التحذير الشديد من العمل به»[2].

والمراد بالإذن في قوله(وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله): «قيل: إنه هنا بمعنى العلم»[3] وقيل«أي بإرادته وقضائه لا بأمره»[4].

وبفرض أن اللغة في النص تبيح التفسيرين بالنفي والإثبات، فرأي الجمهور هو الصواب لما يشهد له من النصوص القرآنية الأخرى، كالمعوذتين، وقصة سحرة فرعون وكذلك الأحاديث النبوية الكثيرة،[5] وما رواه الصحابة والتابعين، وتابعيهم، وما تناقله الناس في كافة الأمصار والأزمان مما يدخل بجملته في حيز المتواتر.

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر»[6] وعنه إيضا أنه قال«اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هن، قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف، وقذف المؤمنات الغافلات»[7].

فقد جعل ـ ﷺ ـ السحر في جملة الموبقات وجعله في المرتبة الثانية بعد الشرك بالله، وقدمه على ما عداه من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق... الخ، وهذا إنما يدل على أن للسحر وجوداً وتأثيراً يستأهل مثل هذا التحريم.

ويؤكد ذلك أيضا قوله ـ ﷺ«اقتلوا كل ساحر وساحرة»[8] وقوله«حد الساحر ضربة بالسيف»[9].

---

(١) الجمل: الفتوحات الإلهية جـ ١ ص ٨٨. (٢) الرازى: التفسير الكبير جـ٣ ٢٢٠.

(٣) الألوسى: روح المعانى جـ١ ص ٣٤٥. (٤) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٤٤٥.

(٥) ومنها حديث سحرا الرسول ـ ﷺ ـ الذى رواه البخارى وغيره وقد أفردنا له ملحقا خاصا به فى نهاية هذ الدراسة برقم(٢) وذلك لما حوله من الشبهات. (٦) صحيح البخارى بشرح فتح البارى جـ١٢ص ٣٤٣.

(٧) السابق كتاب الوصايا باب النساء جـ٥ ص ٣٩٣.

(٨) رواه أحمد فى مسنده جـ١١ ص ١٩٠ ـ ١٩١ وأبو داود فى سننه فى الباب (٣١) من كتاب الإمارة.

(٩) رواه الترمذى فى سننه فى الباب (٢٧) من كتاب الحدود وصححه السيوطى فى الجامع الصغير.

وتؤكد التوراة على ذلك أيضا ففي سفر الخروج: «لا تدع ساحرة تعيش»[1] وفي سفر التثنية: «لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرقي رقية، ولا من يسأل جانا. . الخ»[2] .

ومن ثم فليس غريبا أن نجد كثيرا من الفقهاء يرون أن الساحر كافر ويجب قتله «قال مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر، ولا يستتاب، ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله. . .

وقال القاضي عياض، وبقول مالك قال أحمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين»[3] .

وأما ما رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري «أن النبي - ﷺ - قال: لا يدخل الجنة، صاحب خمس، مدمن الخمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم ولا كاهن ولا منان»[4] فالمراد بالتصديق بالسحر هنا. والذي ينسجم مع ما سبق وما سيأتي من النصوص - والذي انكره الرسول - ﷺ - هو التصديق بأن للسحر تأثيراً بذاته لا بإرادة الله تعالى، فهو سبب والله خالق الأسباب والمسببات لقوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) .

أ - حقيقة وجود السحر بالهمة:

يرى أهل السحر أنه إذا كان البخار أخف من الماء ولكن البخار يستطيع أن يدفع قاطرة، وباخرة وإذا كانت الكهرباء غير منظورة، ولكنها قادرة على أن تضئ مدينة. . فكذلك إرادة الإنسان لا هي ملموسة ولا هي مرئية، ولكن هذه الإرادة إذا أحسن استخدامها فإنها تغير الكثير[5] .

---

(١) سفر الخروج ٢٢ : ١٨ . (٢) سفر التثنية ، الإصحاح (١٨) الآيات ١٠ - ١١

(٣) الشوكاني نيل الأوطار جـ٧ ص ٣٦٣ وانظر كذلك ابن حجر فتح الباري جـ١٢ ص ٣٤٨.

(٤) رواه أحمد في مسنده جـ٣ ص ١٤ .

(٥) انظر أنيس منصور القوى الخفية ٩٤ : ٩٥ والكلام لـ« البستركرولي » أحد علماء الروحانيات في العصر الحديث.

«فإذا أردنا وبعمق فإننا نفتح على أنفسنا وفي أنفسنا ينابيع القوى الهائلة. في كل إنسان قوة السمع عن بعد والرؤية عن بعد. والإحساس بالحوادث قبل أن تقع.. ونقل الأفكار إلى الآخرين والتأثير فيهم»[1].

واستدل الفلاسفة على وجود الأثر للنفس الإنسانسة بأن لها آثاراً في بدنها على غير المجرى الطبعي، وأسبابه الجسمانية، بل آثار عارضة تارة من كيفيات الأرواح كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور وتارة من جهة التصورات النفسانية، كالذي يقع من قبل التوهم، فإن الماشي على حرف حائط أو على حبل منتصب إذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك، ولهذا فإن كثيراً من الناس يعودون أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم، فتجدهم يمشون على حرف الحائط، والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط، فثبت أن ذلك من آثار النفس الإنسانية، وتصورها للسقوط من أجل الوهم، وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبعية، فجائز أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لأنها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه [2].

وهذا ما يؤكده جوزيف .ب. راين J.B.Rhin عالم النفس المعاصرفي بحوثه بجامعة ديوك الأمريكية حيث أثبت هذا التأثير وأجمل نتائج بحوثه في مؤلفه عن الوصول إلى العقل «The Reach of The Mind» أو امتداد أثره وقد ورد فيه ما معناه أن القوى العقلية يمكنها أن تؤثر فى المادة تأثيرا عمليا وأن هذا التأثير العقلى فى المادة لا ينشأ عن قوة فيزيقية [3].

وهذا ما يؤكده أيضا الأستاذ شو. درموند Shaw.Desmond مدير المعهد الدولي للبحث الروحي من أن للفكر حقيقة (مادية) نادت بها بعض مدارس السيكولوجيا وكبرهان مادي على صحة ذلك استطاع العلامة فيوكوراي Fukurai منذ بضع سنين أن يصور ما يرسل به المخ من إشارات أثناء التفكير بكاميرا شديدة الحساسية وليس ذلك بمستغرب في ظل عصر العلم [4].

---

(١) السابق ١١٧ وانظر رءوف عبيد : مفصل الإنسان روح لا جسد جـ١ ص ١٦٦ وما بعدها .
(٢) انظر ابن خلدون :المقدمة ص ٥٠١ وانظر مبحث تأويل المعجزة في الفصل الرابع من الباب الرابع .
(٣) انظر رءوف عبيد: مفصل الإنسان روح لا جسد جـ ٢ ص ١٢٩ .. (٤) انظر السابق جـ ٢ ص ٣١٥

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يثبتان هذا الأثر للنفس البشرية في جانبه الهدمي ففي القرآن الكريم يقول تعالى[1] ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾، وفي السنة النبوية يقول ﷺ « العين الحق [2] ».

ب - حقيقة وجود الطلسمات :

نشير هنا إلى أن مسألة اعتبار أن للكواكب والأفلاك تأثيراً في هذا العالم، وتدبيراً مسألة خلافية سواء بين الفلاسفة أو المتكلمين، ولا نريد أن ندخل في متاهات الجدل العقلي فيها، ونشير لمن يحب الاستزاده في ذلك إلى ما كتبه الرازي ممثلا للمثبتين في كتابه النبوات[3] وإلى ما كتبه الباقلاني في التمهيد[4]، وكذلك القاضي عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة [5] وابن تيمية في الفرقان[6] ممثلين للمنكرين.

ونكتفي هنا ببعض ما سهل ووضح وابتعد عن الغموض والتكلف من هذه الأدلة كاستدلال الرازي على ذلك بأن أحوال هذا العالم مرتبطة بأحوال الشمس في كيفية حركتها فإنه بهذا السبب تصير الشمس تارة شمالية، وتارة جنوبية ولأجل هذا الاختلاف، تحصل الفصول الأربعة، وبسببها تختلف أحوال هذا العالم، وأيضا بسبب طلوع الشمس وغروبها في اليوم تختلف أحوال هذا العالم، واستدلاله كذلك بأن الناس منذ كانوا في قديم الدهر كانوا متمسكين بعلم النجوم، ومعولين عليها، فإنك ترى لكل علم: أولاً وإنساناً هو أول الناس خوضا فيه، إلا العلم الإلهي، وعلم النجوم فإنك لا تصل إلى تاريخ إلا وترى أن هذين العلمين كانا موجودين قبله، ولو كان باطلا، لامتنع إطباق أهل الدنيا من الدهر الداهر إلى هذا اليوم ، على التمسك به، والرجوع إليه ؟؟ [7].

---

(١) الفلق : ٥ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه في الباب (٣٦) من كتاب الطب والباب (٨٦) من كتاب اللباس ومسلم في صحيحه برقم (٤١ ، ٤٢) من كتاب السلام وأبو داود في سننه في الباب (١٥) من كتاب الطب ومالك في الموطأ برقم (١) من كتاب العين وأحمد في المسند جـ ١ ص ٢٧٤ :٢٩٤ جـ٢ ص ٢٢٢ .٢٨٩ ،٣١٩ ،٤٢٠ ،٤٣٩ ،٤٨٧ ، جـ ٤ ص٦٧ جـ٥ ص ٧٠ ،٣٧٩ .

(٣) انظر الرازي : النبوات ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ . (٤) انظر الباقلاني : التمهيد ص ٦١ : ٦٨ .

(٥) انظر القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٦) انظر ابن تيمية : الفرقان ٩٠ ـ ٩٢ . (٧) انظر الرازي : النبوات ٢١٠ .

ومن الغريب أن نجد شخصية إسلامية كبيرة كحجة الإسلام الغزالي يقول[1] «وأما المحركات للأجرام السماوية فيحضرها جميع الأحوال المتقدمة معا فيلزم جميع الأحوال المتأخرة معا، فتكون الهيئة للعالم بما يريد أن يكون فيه يرتسم هناك»

بل إن ابن حزم الظاهري نجده أيضا يقول[2] «وأما السحر فإنه ضروب، منه ما هو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب، في وقت كون القمر في العقرب، فينفع إمساكه من لدغة العقرب، ومن هذا الباب كانت الطلسمات، وليست إحالة طبيعة، ولا قلب عين، ولكنها قوى ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى أخرى كدفع الحر للبرد، ودفع البرد للحر. . . ولا يمكن دفع الطلسمات لأننا قد شاهدنا آنفا آثارها ظاهرة إلى الآن، من قرى لا تدخلها جرادة، ولا يقع فيها برد كسرقسطة التي لا يدخلها جيش إلا أن يدخلها كرها، وغير ذلك كثير جداً لا ينكره إلا معاند وهي أعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة، وانقطع من العالم، ولم يبق إلا آثار صناعتهم فقط».

وابن عربي أيضا يؤمن بنظرية أرواح الكواكب وأن لكل كوكب روحا خاصا به، وعلما لا يشاركه فيه غيره[3].

وفي الفتوحات المكية بعد أن أثبت ابن عربي أن الله وحدة هو المؤثر على الحقيقة يقول:[4] «فإن الله تعالى لما رفع السماء، وضع الميزان فى سباحة الكواكب فى أفلاكها التى هى طرق فى السماوات لتجري بالمقادير الكائنة في العالم على قدر معلوم لا تتعداه وذلك هو التسخير الذي ورد في القرآن في النجوم أنها مسخرات بأمره» .

وكذلك الكرماني فيقول[5] «الأجسام العالية لها أحوال، وأفعال بها يتعلق وجود الموجودات الطبيعية» .

---

(١) الغزالى : معارج القدس ١٥٣ ـ ١٥٤ .

(٢) ابن حزم : الفصل جـ٥ ص ١٠١ ـ١٠٢.

(٣) انظر أبو العلا عفيفى :التعليقات على فصوص الحكم لابن عربى جـ ٢ ص٤٣ .

(٤) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ ٤ ص ٣٣:٣٤ .

(٥) الكرمانى : راحة العقل ص ٣١١ وانظر ص ٣١٣: ٣١٦ .

ويحاول كثير من العلماء كالفارابي، وابن سينا وغيرهم تأكيد هذه النظرية ونظرية الفيض قائمة على هذا التصور.

وملخص هذه النظرية أن واجب الوجود لذاته(الله) فكر فنشأ عنه عقل أول هذا العقل له جانبان أو اعتباران فهو من جهة واجب بغيره، ومن جهة أخرى ممكن بذاته، وهذا العقل فكرفي مصدره، فنشأ عنه عقل ثان، وفكر في نفسه باعتباره واجبا بغيره فنشأ عنه نفس الفلك الأول، وفكر مرة ثالثة فى نفسه باعتباره ممكنا بذاته فنشأ عنه جسم الفلك الأول .

وهذا العقل الثاني قام بما قام العقل الأول به، ففكر ثلاث مرات مرة في مصدره، فنشأ عنه عقل ثالث، ومرة في نفسه باعتباره واجبا بغيره فنشأ عنه نفس الفلك الثاني، ومرة في نفسه باعتباره ممكنا بذاته فنشأ عنه جسم الفلك الثاني وهكذا حتى العقل العاشر، ويسمونه العقل الفعال، وهو المشرف على مادون فلك القمر، ويقابل من الملائكة جبريل عليه السلام أو هو هو .

وكذلك الحال عند إخوان الصفا، فالكواكب، والملائكة عندهم حقيقة واحدة.

يقول إخوان الصفا[1] «إن الكواكب ملائكة الله وملوك سمواته خلقهم لعمارة عالمه، وتدبير خلائقه وسياسة بريته».

وفي القرآن الكريم نجد المولى عز وجل يخاطب السموات والأرض ونجدها تجيبه، يقول تعالى ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها، قالتا أتينا طائعين﴾[2] ونجد قوله تعالى كذلك﴿وإن من شىء إلا يسبح بحمده﴾[3] ويقول تعالى كذلك[4]﴿فالمقسمات أمرا﴾، ويقول:[5] ﴿والمرسلات عرفا، فالعاصفات عصفا، والناشرات نشراً، فالفارقات فرقا، فالملقيات ذكرا﴾، ويقول:[6]﴿والصافات صفا، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً﴾ ويقول:[7]﴿والنازعات غرقا، والناشطات نشطا، والسابحات سبحا، فالسابقات سبقا، فالمدبرات أمرا﴾ .

---

(١) إخوان الصفا : الرسائل جـ ٤ ص ٢٨٥ .
(٢) فصلت : ١١ .
(٣) الإسراء : ٤٤ .
(٤) الزاريات : ٤ .
(٥) المرسلات : ١:٥ .
(٦) الصافات : ١ :٣ .
(٧) النازعات : ١ : ٥ .

وكثير من العلماء والمفسرين على أن هذه الآيات حديث عن الملائكة، التي هي الكوكب عند بعضهم حال قيامها بتدبير شئون السموات والأرض، وصرح بعضهم بأنها خاصة بالحديث عن الكواكب، وتدبيرها في العالم .

وأرى أن اعتبار أن الكواكب قد تكون ملائكة أو أسبابا على الجملة لا يعارضة شرع أو عقل، بدليل قوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[1] أما اعتبار أن الملائكة هي الكواكب فقول لا دليل عليه لا من شرع ولا من عقل بل يعارضة قوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ .

يقول القرطبي في تفسير قوله تعالى(فالمدبرات أمرا)[2]: «قال القشيري: أجمعوا على أن المراد الملائكة، وقال الماوردي فيه قولان: أحدهما الملائكة، قاله الجمهور، والقول الثاني هي الكواكب السبعة، حكاه خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الأمر وجهان: أحدهما تدبير طلوعها. وأفولها، والثاني تدبير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال، وحكى هذا القول أيضا عن القشيري في تفسيره، وأن الله تعالى علق كثيرا من تدبير أمر العالم بحركات النجوم فأضيف التدبير إليها، وإن كان من الله، كما يسمي الشيء باسم ما يجاوره، وعلى أن المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال، والحرام، وتفصيله: قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما، وهو إلى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك: كما قال عز وجل:[3]﴿نزل به الروح الأمين﴾ وكما قال تعالى:[4] ﴿فإنه نزله على قلبك﴾يعني جبريل نزله على قلب محمد ـ ﷺ ـ والله عز وجل هو الذي أنزله، وروى عطاء عن ابن عباس :(فالمدبرات أمرا) الملائكة وكلت بتدبير أحوال الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك»[5].

ونخلص من ذلك بالآتي :

ـ إن إضافة التدبير الى الملائكة أو الكواكب إضافة مجازية لأنها الأسباب التي يتم بها مراد الله .

---

(١) المدثر : ٣١ . (٢) النازعات : ٥ .

(٣) الشعراء : ١٩٣ . (٤) البقرة : ٩٧ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٨ ص ٦٩٨٥ .

- إن الله وحده هو خالق الأسباب والمسببات، ومن ثم فهو قادر على أن يخلق المسببات بلا أسباب وخلق الأسباب إنما يكون لحكمة .

- إن اعتبار الملائكة أسبابا لا يتعارض مع الشرع بل هو ما نص عليه القرآن، وأكدته السنة النبوية .

ففي القرآن يقول تعالى:[1] ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ وفي الصحيحين في قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح وأتى السماء الثانية فقال لخازنها: افتح .... الحديث[2] .

وفي الصحيحين كذلك من حديث عائشة في قصة عرضه - ﷺ - نفسه على عبد ياليل «فناداني ملك الجبال... إن شئت أطبق عليهم الأخشبين.... الحديث[3]، وغير ذلك من الأحاديث كثير.

- إن اعتبار الكواكب أسبابا، وإن لم يصرح الشرع به فبفرض صحته لا يتعارض ذلك مع الشرع، لقوله تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾[4].

ويؤكد ابن حزم على ما سبق من أن اعتبار الكواكب أسبابا لا يتعارض مع الشرع، ويستشهد على ذلك بالحديث القدسي، قال الله تعالى:[5] ﴿أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء[6] كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب﴾. أ . هـ .

---

(١) الأنفال : ١٢ .

(٢) رواه البخاري : في صحيحه في الباب(١) من كتاب الصلاة، والباب(٧٦) من كتاب الطب، والباب (٥) من كتاب الأنبياء، ومسلم: في صحيحه برقم(٢٦٣) من كتاب الإيمان، وأحمد في مسنده جـ ٥ ص ١٤٣ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم(١١١) من كتاب الجهاد، والبخاري: في صحيحه في الباب -(٧) من كتاب بدء الخلق. (٤) المدثر : ٣١ .

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان جـ ٢ ص٥٩ - ٦٠ ورواه البخاري: في صحيحه في الباب (١٥٦) من كتاب الآذان والباب(٣٥) من كتاب المغازي، وأبو داود في سننه في الباب(٢٢) من كتاب الطب ومالك في الموطأ برقم (٤) من كتاب الاستسقاء . (٦) النوء : النجم إذ مال للغروب، والمطر الشديد .

(عبد السلام هارون وآخرون: المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٩٩) .

وأما من قال بأن الله عز وجل خلقها، وجعلها دلائل على الكوائن فهذا ليس كافرا ولا مبتدعا لأن قائل هذا إنما يحيل على التجارب فما كان من تلك التجارب ظاهراً إلى الحس كالمد والجزر الحادثين عند طلوع القمر واستوائه وأفوله، وامتلائه ونقصانه وكتأثير الشمس في عطش الحر وتصعيد الرطوبات وسائر ما يوجد حساً فهو حق لا يدفعه ذو حس سليم، فكل ذلك خلق الله عز وجل، فهو خلق القوى، وما يتولد منها. وما يوجد بها[1]، كما قال تعالى: [2]**﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾**، **﴿فأخرجنا به من كل الثمرات﴾**[3] **﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾** [4].

ويقول ابن عربي: أهل الشهود: « الذين يقولون مطرنا بفضل الله ورحمته بالوزن الذي جعله في سباحة كوكب من الكواكب، وما قدره الله من المنازل التي ينزل فيها، والمحجوب عن هذا المقام، يقول مطرنا بنوء كذا وكذا فيذكر الكوكب المجبور في ذلك، ويضيف ما ظهر من المطر الصائب إليه كما يضيف أفعاله خلقا الى نفسه، فسمي عند ذلك بأنه كافر بالله»[5].

وابن سينا كذلك يؤكد على أن نفوس الأجرام السماوية وإن كان لها ضرب من التصرف في المعاني الجزئية[6] إلا أن ذلك لا يتعارض مع الشرع طالما أن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات.

يقول ابن سينا:[7] «إن السماء حيوان مطيع لله عز وجل»و«إن محرك جملة السماء واحد، ولا يجوز أن يكون عددا كثيرا. . .على ما يراه المعلم الأول، ومن بعده من محصلي الحكمة المشائية»[8].

ثم إن قوله ـ ﷺ ـ: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من سحر: زاد ما زاد»[9] يمكن أن يفهم على أنه اعتراف بعلم التنجيم طالما جعله ﷺ من السحر

---

(١) انظر ابن حزم :الفصل جـ ٥ ص ١٤٨ : ١٤٩ . (٢) فاطر : ٩ .
(٣) الأعراف : ٥٧ . (٤) ق : ٩ .
(٥) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ ٤ ص ٣٤ .
(٦) انظر ابن سينا : النجاة ص ٣٣٥. (٧) السابق ص ٢٩٥ . (٨) السابق ص ٣٠٣ .
(٩) رواه أحمد فى مسنده جـ١ ص ٢٢٧ :٣١١ ،وابن ماجة فى سننه فى الباب (٢٨) من كتاب الأدب، وأبو داود فى سننه فى الباب (٢٢) ،(٥١) من كتاب الطب،وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير .

وطالما اعترف الإسلام بالسحر وبتأثيره .

وأخيراً فنحن نتفق مع الغزالي فيما ذهب إليه في التهافت من أن الله تعالى قادرعلى أن يخلق الحياة في كل جسم فلا كبر الجسم يمنع من كونه حيا، ولا كونه مستديرا، فإن الشكل المخصوص، ليس شرطا للحياة إذ الحيوانات مع اختلاف أشكالها مشتركة في قبول الحياة، وهو تعالى قادر على أن يجعل الكواكب أسبابا في تدبير السموات والأرض، كما جعل غيرها أسبابا ولكنا ندعي عجز الفلاسفة عن معرفة ذلك بدليل العقل، فإن هذا إن كان صحيحا، فلا يطلع عليه إلا الأنبياء - صلوات الله عليهم - بإلهام من الله تعالى، أو بوحى وقياس العقل ليس يدل عليه، نعم لا يبعد أن يعرف مثل ذلك بدليل، إن وجد الدليل وساعد، ولكنا نقول: ما أوردوه دليلا لا يصلح إلا لإفادة الظن، فأما أن يفيد قطعا فلا [1].

ومن ثم يتبين لنا أن أقصى ما يمكن أن يقال في هذا الباب: أن وجود علم التنجيم لا يعارضه شرع أو عقل وإنما يدخل في حيز الممكن الذي لا يفصل فيه إلا التجربة الحسية .

على أننا يجب أن نفرق بين نوعين من أنواع السحر كثيرا ما يحدث الخلط بينهما، ويظن أنهما شيء واحد فكلاهما متعلق بالأفلاك والكواكب.

الأول منهما: هو السحر المبني على مقتضيات أحكام النجوم وهو النوع الذي قلنا عنه إنه لا يعارض وجوده شرع أو عقل.

والثاني منهما: هو السحر المبني على الاستعانة بالأرواح الفلكية، ويكون ذلك بأدعية مخصوصة وصلوات معينة وهو نوع من عبادة الكواكب التي حرمها الشرع وأنكرها العقل.

جـ - حقيقة وجود السحر بالعزائم والرقى :

والسحر بالعزائم والرقى ثابت عند بعض العلماء مثل ابن حزم الذي يقص علينا كثيراً من الشواهد التي رآها بنفسه أو التي أخبره بها الثقات والتي تؤيد ذلك في كتابه الفصل [2].

---

(١) انظر الغزالى : تهافت الفلاسفة ص ٢٠٢ . (٢) انظر ابن حزم : الفصل جـ٥ ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

ء - حقيقة وجود الكهانة :

مفهوم الغيب :

الغيب في كلام العرب: كل ما غاب عنك واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا في قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[1] فقالت فرقة: الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعفه ابن العربي وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب وقال آخرون الغيب: كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر، والنشر والصراط، والميزان، والجنة والنار، قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها[2] وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام حين قال للنبي فأخبرني عن الإيمان قال«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» [3] .

حقيقة معرفة الناس للغيب :

فمن الغيب ما يستأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه من أراد من خلقه، وقد يقصره على طائفة من خلقة، كبعض ملائكته، أو بعض رسله، بل إن منه ما جعل له أسبابا في تحصيله.

كغيب الماضي: فهذا قد تتناقله الأمم، ويحصله من طلب علمه بوسيلة أو بأخرى .

وكذلك غيب الحاضر: فهو غيب مكاني فيمكن كذلك معرفته بطريق أو بآخر[4] كتسخير الجان مثلا أو عن طريق وسائل الاتصالات الحديثة.

وحتى غيب المستقبل فلم يختص الله تعالى بعلمه كله بل جعل منه ما

---

(١) البقرة: ٣. (٢) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ١٤٢ .

(٣) رواه أبو داود فى سننه فى كتاب السنة باب القدر جـ٢ ص٥٢٦ وكذلك البخارى فى صحيحه بلفظ مختلف ،كتاب الإيمان جـ١ ص٢٠ ،وأحمد فى مسنده بلفظ مختلف جـ١ ص٢٧ .

(٤) وقد حكمت محكمة باب الشعرية منذ سنوات ببراءة متهم فتح المندل أمام المحكمة.
انظر جريدة الأهرام المصرية عدد١٩٨٠/٤/٢٣ .
والمندل ضرب من الكهانة يستدل به على الضائع أو المسروق .

يشاركه في علمه به بعض ملائكته أو بعض رسله ـ يقول تعالى[1] ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ ـ أو بعض خلقه ممن ليسوا بأنبياء سواء كان ذلك عن طريق الكرامة، وسيأتي تفصيل الكلام عنها في موضعه ـ أو عن طريق الرؤيا الصادقة التي قال عنها الرسول ـ ﷺ ـ «الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزء من النبوة»[2] والتي ذكرها القرآن في مواطن كثيرة مثبتا إياها مشيرا إلى أن من الغيب المستقبل ما يمكن معرفته عن طريقها لغير الأنبياء بل ولغير الصالحين.

ومثال ذلك ما رآه الملك في قصة يوسف عليه السلام في نومه، وما رآه رفيقا يوسف في السجن، وما رآه يوسف نفسه من قبل وقصه على أبيه ، والرؤيا الصادقة ليس في وسع إنسان إنكارها ومن لم يجربها بنفسه فلابد له وأن تتواتر لديه ممن خبره عنده كالمشاهدة.

وأيضا يمكن أن يعرف بعض غيب المستقبل لغير الأنبياء بدلالة العادة كمعرفتنا أن هذه النار محرقة قبل ملامستها .

ومن ثم فإنا نفهم أن المراد بقوله تعالى على لسان رسوله ـ ﷺ ـ ﴿ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾[3]. وكذلك قوله تعالى﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[4] .

أن المراد من نفي الغيب عنه ـ ﷺ ـ هو :

ـ إما ما اختص الله تعالى بعلمه دون سائر خلقه .

ـ أو أنه ﷺ ـ لا يعلم الغيب من لدن نفسه ولا يعلمه إلا بإعلام الله تعالى له لقوله تعالى﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[5] وكذلك قوله تعالى﴿أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم﴾[6] وقوله على لسان عيسى عليه السلام﴿وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ [7] .

---

(١) الجن : ٢٦ – ٢٧. (٢) رواه البخاري : في صحيحه جـ ٩ ص ٣٩ . (٣) الأنعام: ٥٠ .
(٤) النمل :٦٥ . (٥) الجن: ٢٦ – ٢٧ . (٦) الشورى : ٥١ . (٧) آل عمران : ٤٩ .

والإسلام وإن حارب الكهانة إلا أنه لم ينف وجودها ولم ينكر أن لها وجودا حقيقيا - بصرف النظر عن مدى دقة الكهانة في معرفة الغيب وطبيعة هذا الغيب الذي يمكن معرفته عن طريق الكهانة .

فقد روي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال[1] «من أتى كاهنا فصدقه بما يقول. . . فقد برئ مما أنزل على محمد - ﷺ» .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - «ليس منا من تَطَير أو تُطير له أو تَكهن أو تُكهن له أو سَحر أو سُحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -»[2].

وروى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي - ﷺ - أنه قال:[3] «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوما» .

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «أخاف على أمتي بعدي خصلتين تكذيبا بالقدر، وإيمانا بالنجوم»[4].

وعن جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال «ثلاث أخاف على أمتي الاستسقاء بالأنواء وحيف السلطان، وتكذيباً بالقدر»[5].

إلا أن هذه النصوص لا تنكر الكهانة ولكن تحذر منها فالكهانة كما قلنا نوع من السحر، واعترف الإسلام بوجود السحر، ولكنه حرمه، وحذر منه، فكذلك الأمر في الكهانة، بل إن «أحمد نص على أن الكاهن يقتل كالساحر»[6] ولا يكون القتل إلا فيما له وجود وتأثير بالضرر خطير.

وذلك الضرر هو سبب خوف الرسول - ﷺ - من الإيمان بالنجوم، والإيمان هنا إذا كان يعني عبادتها فليس ذلك إنكاراً لإمكان معرفة الغيب عن طريق التنجيم وإن كان المقصود بالإيمان بالنجوم أي الإيمان بأن للنجوم دلالة على الغيب فليس

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الطب باب الكهانة جـ ٢ ص ٣٤١ وحسنه السيوطي في الجامع الصغير. (٢) رواه البزار بإسناد جيد وحسنه السيوطي في الجامع الصغير .

(٣) رواه مسلم: في صحيحه جـ١٤ ص٢٢٧ .

(٤) رواه أبو يعلى، وابن عدى، والخطيب في كتابه النجوم وحسنه السيوطي أيضا .

(٥) رواه أحمد في مسنده جـ٥ص٩٠ وضعفه السيوطي . (٦) ابن تيمية : النبوات ص٢٧٠ :٢٧١ .

في ذلك إنكار واضح لوجود هذا العلم، ولكن فيه تحذير من ضرره .

وذلك لأن الكهانة، وإن أمكن عن طريقها معرفة ما للغيب فهي معرفة قاصره مشوشة يختلط الصحيح القليل فيها بالباطل الكثير [1].

فإذا آمن الإنسان بها وبنى حياته عليها هلك وفاته من الخير الكثير، لأنه يبني حياته على أسس باطلة [2].

وقد سجل التاريخ إيمان كثير من الشخصيات الهامة بالتنجيم إيمانا مطلقا ومنهم ادولف هتلر زعيم ألمانيا، ونهرو وغيرهما[3] ولا شك أن إيمان مثل هؤلاء الساسة بذلك لابد أن يكون له أثر كبير في سياستهم، وبالتالى يتعدى الأثر إلى حياة الملايين من البشر .

ثم إن الإنسان بإلحاحه في معرفة الغيب يسعى لمعرفه ما يكره يقول تعالى[4] **﴿يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾** .

والمستقبل لأي إنسان به من الأحداث ما يفرحه كما أن به ما يحزنه، ولابد من ذلك لأي إنسان ـ ثم إن المشاهد أن خبراً واحداً محزنا يمكنه أن يطغى على ألف خبر سار، فيعيش الإنسان مهموما محزونا متوجسا من شر أن يقع له، وقد لا

---

(١) انظر (قدرة السحر على التنبؤ بالغيب) في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) وقد حذر مؤتمر عقد فى جامعة(ستانفورد) الأمريكية من أن عدداً كبيرا من الناس يؤمنون بما يتنبأ به المنجمون فى الصحف والمجلات إيمانا يجعلهم يسوون حياتهم بموجب هذه التنبؤات وقد لا يكون فى ذلك الكثير من المضره إلا أن بعض الناس يتأثرون كثيرا بالطالع والبروج السماوية إلى حد يجعلهم لا يقدمون على عمل شيء إلا إذا حبذته الأبراج حتى فى اختيار وظائفهم أو مستخدميهم أو أزواجهم! وهناك من الأطباء من يعتمدون فى تشخيص الأمراض على النجوم بدل اللجوء إلى الأساليب العلمية القوية ولعل عدداً من حوادث الانتحار أتت نتيجة لتنبؤات لم ترض أصحابها فآثروا الانتحار .
انظر مجدى الشهاوى :قراءة النجوم والحظ والطالع ص٨٠ وانظر كذلك جريدة الأهرام المصرية عدد ١٩٩٣/٥/٢٠ بعنوان سموم العرافين .

(٣) مجدى الشهاوى : السابق ص ٧٧. وانظر ما نشرته جريدة الأهرام المصرية فى صفحتها الأولى بتاريخ ٦/٧ ١٩٩٣ بعنوان«المنجمون يقررون إبقاء كمبوديا بلا حكومة حتى عيد ميلاد«سيهانوك» فترى أن المنجمين هم الذين يقررون ما يتعلق بمصير الملايين.

(٤) المائدة : ١٠١.

يقع، وإن وقع فقد خزن له قبل أن يوجد، وبعد أن وجد والحزن على ما وقع به من اللطف ما لايوجد في الخوف مما لم يقع، فالأول قد يمكن نسيانه، والثاني يزكيه الوهم، والشيطان.

ومن ذلك كان عداء الإسلام ومحاربته للكهانة، أما عن وجودها فاعترف بها، وبأن لها وجودا حقيقياً، فهي لا تتعارض مع العقل بل هي حقيقة واقعة.

وليس أدل على ذلك من الواقع المشاهد الذي لا يسع أحداً إنكاره ومن لم يشاهده بنفسه فلابد له من سماع حكايات كثيرة في ذلك قد تدخل بمجملها حيز المتواتر إن لم يتواتر كل منها على حدة.

حقيقية معرفة الناس للغيب عن طريق قراءة الرمل:

«عن معاوية بن الحكم السلمي قال: يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام... ومنا رجال يخطون، قال: كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»[1].

ففي هذا الحديث يعترف السائل بأن هناك رجال يخطون بالفعل في ذلك الوقت، وليس أقل من أن يكون خطهم يصيب حينا ويخطئ أخرى، أما إن كان الخط باطلا كله لما سأل السائل مثل هذا السؤال ولما كانت إجابة الرسول ﷺ مثل هذه الإجابة.

«وفي شرح السنن لابن رسلان قال: وهذا علم معروف فيه للناس تصانيف كثيرة وهو معمول به إلى الآن ويستخرجون به الضمير»[2].

حقيقة معرفة الناس للغيب عن طريق قراءة الفنجان والكف وما شابه ذلك:

يقول الرسول ﷺ «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه جـ١٤ ص٢٢٤.

ويقال إن ستة من الأنبياء كانوا يخطون الرمل هم آدم، وإدريس، ولقمان، وإرمياء، وإشَعْيَاء، ودانيال.

Thomas Patrick Hughes : A Dictionary of Islam p 202 .

(٢) الشوكاني : نيل الأوطار جـ ٧ ص ٣٧٨ .

بأربع كلمات: فيكتب رزقة وأجله وعمله، ثم يكتب شقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»[1] .

وبالطبع فالكتابة هنا في بطن الأم غير الكتابة في اللوح المحفوظ السابقة لذلك بكثير من الزمان لقوله ـ ﷺ ـ «أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال فاكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة»[2] وقوله تعالى[3] ﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ .

وإذا كنا هنا أمام نوع جديد من الكتابة يتم في بطن الأم أفلا يدخل ذلك قراءة الكف وأخمص القدمين والشفاة والخيلان الموجودة على ظاهر البدن، والفنجان وما أشبه ذلك في حيز الإمكان؟ باعتبار أن الكتابة في رحم الأم قد تكون على ظاهر البدن أو في العقل الباطن الذي يترك بصمته على كل ما يقترب منه كفنجان القهوة مثلا، أو أي مشروب آخر له نفس قوام القهوة، على شكل رموز على السطح الداخلي للفنجان[4] .

---

(١) رواه أبو داود في سننه جـ٢ ص٥٣٠ في كتاب السنة والبخاري في صحيحه في الباب الأول من كتاب الأنبياء ومسلم في صحيحه برقم ـ(٢) من كتاب القدر والترمذي في سننه في الباب(٤) من كتاب القدر وأحمد في مسنده جـ ٤ ص ٧.

(٢) رواه أحمد في مسنده جـ٥ص٣١٧ وأبو داود في سننه في الباب(١٦) من كتاب السنة والترمذي في الباب (١٧) من كتاب القدر . (٣) الرعد : ٣٩ .

(٤) يقول أحد الكتاب المعاصرين: وكما يحاول الإنسان بعلمه الذي سخره الله له أن يعرف كل الدقائق المحيطة بالشريط الخلقي المودع في الجينات أو حاملات الخصائص الوراثية دون أن يتهمه أحد بأنه يريد أن يعرف غيب أحد فإنه يحاول أيضا أن يعرف جانبا على الأقل من «الشريط الحياتي» المودع في برنامج العقل الباطن دون أن يدعي لنفسه أية قدرة على النفاذ إلى غيب شخص معين (انظر أحمد حسين الشاعر :أسرار الفنجان ص١٧ :١٨) أي أنه يعرف من الغيب عن طريق الفنجان أو الكف أو الرمل مثل ما يعرفه عن طريق الرؤيا الصادقة أي غير ما يختص الله تعالى بعلمه وحده وكذا غير ما يشاركه في علمه بعض ملائكته أو بعض رسله دون سائر خلقه .

وإذا كان «الشريط الحياتي» كله مودع في برنامج العقل الباطن فهل يمكن القول أنه أيضاً سبب الرؤى الصادقة؟ ولا يتعارض ذلك بالطبع مع كونها من عند الله لأن الله هو الخالق لكل الأسباب و المسببات فهو الخالق للعقل الباطن وما به من العلوم ولا يحدث في الكون شيء إلا بأمره وإرادته تعالى.

وهل يمكن تأكيد ذلك بوحدة الرمز في الرؤيا وفي الفنجان في كثير من الأحيان؟ انظر على سبيل المثال رمز الطبلة ورمز الطير عند: أحمد حسين الشاعر :أسرار الفنجان ص٧٠، ٧١ :النابلسي :تعطير الأنام في تفسير الأحلام جـ٢ ص٢٩، ٦٧ :ابن سيرين :منتخب الكلام في تفسير الأحلام جـ ٢ ص ٢٧٠ =

وهل يمكن كذلك الاستدلال على إمكان قراءة الكف والشفاة وأخمص القدمين والخيلان وغير ذلك بقوله تعالى ﴿حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾[1] وقوله تعالى ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾[2] وقوله ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[3] .

اعتقد أن كل ما سبق لا يثبت على وجه قطعي وجود هذه المعرفة الغيبية عن طريق هذه الطرق من قراءة الفنجان والكف وما إلى ذلك.

وأقصى ما هنالك إن هذه المعارف ممكنة ولم يقم دليل عقلي أو شرعي على صحة وجودها أو عدمه، ويبقى الحكم النهائي في ذلك للتجربة الواقعية التي يدعيها الكثيرون.

وبفرض وجودها فلا يطعن ذلك في المعجزة لأن هناك من الفروق بينهما الكثير والذي سيأتي بسطه في موضوع لاحق.

تسخير الجان في معرفة الغيب :

ـ حقيقة الجن :

روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال «خلقت الملائكة من نور»[4] وخلق آدم ﴿من صلصال من حمإ مسنون﴾[5] ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾[6] وخلق إبليس ﴿من نار﴾[7] فإبليس ليس من

=وهل يمكن تأكيد ذلك أيضا بما أكد عليه أفلاطون فى أكثر من محاورة من أن الطابع الأساسى للمعرفة هو تذكر النفس لمعارفها التى اكتسبتها حين كانت فى عالم المثل، وأن هذا الطابع أولى سابق على التجربة ومستقل عنها والتجربة تنبه النفس من غفوتها أو غشاوتها التى نتجت عن اتصالها بالبدن؟

وهل يمكن الاستدلال على وجود ذلك العلم فى العقل الباطن بقوله تعالى ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾ الأعلى:٩ . وقوله ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ الغاشية:٢١ . وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ الأعراف:٥٧ ، النور : ٢٧ ، الذاريات:٤٩ ، وقوله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ البقرة:٢٢١ ، إبراهيم:٢٥ ، القصص٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، الزمر:٢٧ . الدخان:٥٨ . وقوله ﴿أفلا تذكرون﴾ يونس :٣ . هود:٢٤ ، ٣٠ . النحل:١٧ . المؤمنون:٨٥ . الجاثية:٢٣ . وقوله ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ الزمر :٩ وقوله ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ الأنعام : ١٢٦ ؟

(١) فصلت : ٢٠ . (٢) النور : ٢٤ . (٣) يس : ٦٥ . (٤) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد فى المسند عن عائشة . (٥) الحجر :٢٦ . (٦) الرحمن : ١٥ . (٧) الأعراف : ١٢ .

الملائكة على الراجح فقد خلق من نار وخلقت الملائكة من نور.

ثم إنه عصى الله تعالى، قال تعالى[1] ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى﴾، والملائكة ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[2].

ولكن لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم دخل إبليس في خطابهم لأنه وإن لم يكن من عنصرهم إلا أنه كان قد تشبه بهم وتوسم بأفعالهم، فلهذا دخل في الخطاب لهم وذم في مخالفة الأمر[3].

وإذا كان إبليس والجان خلقا من نار فليس معنى ذلك أنهما شيء واحد فالإنسان والحيوان خلقا من طين وهما خلقان مختلفان.

وإبليس ليس من الجن على الراجح لأن الله أثبت عداوته وذريته للإنس قال تعالى ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾[4].

والجن منهم الطائع والعاصي قال تعالى على لسانهم ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾[5] وبالطبع فمسلموهم أخواننا وليسوا أعداءنا وهم من أمة الدعوى وتحدي القرآن يشملهم. ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾[6].

وقال ابن عباس إن الله تعالى قال ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[7] وقال للنبي ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾[8] فأرسله تعالى إلى الإنس والجن[9].

وفي قوله تعالى ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾[10] يجوز أن يعم لفظ الناس بني آدم والجن، ويكون الجن قد دخلوا في لفظ الناس تغليبا، قال ابن جرير: وقد استعمل فيهم ﴿رجال من الجن﴾[11] فلا بدع في إطلاق الناس عليهم،

---

(١) البقرة: ٣٤. (٢) التحريم: ٦. (٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٧٧.
(٤) الكهف: ٥٠. (٥) الجن: ١٤. (٦) الإسراء: ٨٨.
(٧) إبراهيم: ٤. (٨) سبأ: ٢٨. (٩) انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ٣ ص٥٣٩.
(١٠) الناس: ٥. (١١) الجن: ٦.

فالشيطان يوسوس لهم كما يوسوس لنا ويكون قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للفظ الناس في قوله تعالى ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾ [1].

وأما وصف إبليس بأنه كان من الجن في قوله تعالى ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾[2] فمعناه على الراجح كما قال ابن عباس وغيره أنه كان من خزان الجنان [3] أو أنه ذو طبيعة مختلفة عن طبيعة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم فكانت طبيعته طبيعة جنية أى مستترة تضمر الشر فقادته إلى الفسق .

ثم إنه يجب أن نلاحظ أن لفظ الشيطان يطلق مجازاً على كل عات متمرد من الإنس والجن ووجه الشبه هو الرغبة في الإفساد والشر والإيذاء .

قال تعالى[4] ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ وقال[5] ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾ .

ولفظ جن يطلق على كل مستتر غير ظاهر، ولذلك سمي حمل المرأة جنيناً ومن ذهب عقله مجنونا .

والجن مخلوقات غير مرئية لها أن تتشكل في أي صورة جسمانية[6] والعقل لا يحيل سلوكهم في الإنس إذا كانت أجسامهم رقيقة بسيطة ولو كانوا كثافاً لصح ذلك أيضا منهم، كما يصح دخول الطعام والشراب في الفراغ من الجسم، وكذلك الديدان قد تكون في الإنسان وهي أحياء .

حقيقة وجود الجن :

والإقرار بالجن عام في بني آدم وليس في الأمم أمة تنكر ذلك إنكاراً عاما وإنما يوجد إنكار ذلك في بعضهم مثل من قد يتفلسف فينكرهم لعدم العلم لا للعلم بالعدم فوجودهم متواتر.

وأنكر معظم المعتزلة الجن[7] وليس في إثباتهم مستحيل عقلي، وقد دلت

---

(١) انظر ابن كثير :تفسير القرآن العظيم جـ٤ ص ٥٧٥ .

(٢) الكهف : ٥٠ . (٣) انظر ابن كثير :تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٨٩ .

(٤) الأنعام : ١١٢ . (٥) البقرة : ١٤ .

(٦) انظر الشبلي:غرائب وعجائب الجن ص٢٨ :٣٦ وانظر السيوطى : لقط المرجان فى أحكام الجان ص٢٢ .

(٧) انظر القرطبى: الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٤٠ .

نصوص القرآن والسنة على إثباتهم وسورة الجن تقضي بذلك [1] .

وأنكرت الفلاسفة وجود الجن لأنها إن كانت أجساماً لطيفة فيلزم أن لا تقدر على الأفعال الشاقة، وتتلاشى بأدنى قوة، وإن لم تكن لطيفة وجب أن ترى لأنا لو جوزنا أجساما كثيفة لا نراها لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وبلاد لا نراها وبوقات وطبول لا نسمعها وهو سفسطة [2] .

وجواب ذلك : أنه بعد أن عرف الإنسان الكهرباء - ولم يرها - ورأى بنفسه آثارها لا يمكنه أن ينكر كل ما لم تره عينه أو يشترط الكثافة للقوة ومن منا رأى الروح الحيواني وبالرغم من ذلك لا ينكره عاقل، ومثل الطاقة الكهربية الجاذبية الأرضية، والطاقة الذرية والنووية، وإذا كانت المادة قد تتحول إلى طاقة والعكس مقبول ولكن المادة كثيفة وترى والطاقة لطيفة ولا ترى فكذلك الحال في الجن يتحولون من صورة إلى أخرى مرئية وغير مرئية وعدم رؤيتهم لا يطعن في وجودهم .

وقد توصل العلم الحديث إلى كشف عالم غير مرئي تسكنه مخلوقات غير مرئية، تتكون من مادة ذات حرارة رهيبة لم يمكن بعد معرفة درجة حرارتها، وهذه المخلوقات غير المرئية لعلها هي ما وصفها القرآن الكريم في قوله ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ [3] وغيرها من الآيات [4] .

والعلم الحديث قد أثبت كذلك أن العالم لا يحتوى على ثلاثة أبعاد فقط هي الطول والعرض والارتفاع ولا حتى على أربعة أبعاد بإضافة الزمن كما يقول أينشتاين ولا على خمسة أبعاد كما يقول مكسويل بل أثبت أن العالم يحتوي على أبعاد أخرى أكثر من ذلك ولكنها غير منظورة وهذه الأبعاد وإن اختلف العلماء في

---

(١) أما تفسير د. محمد البهى لسورة الجن فى كتابه تفسير سورة الجن وإنكاره لوجود الجن فيكفى أن يقرأه أى إنسان وإن لم يكن متخصصا ليعلم بطلانه وتكلفه .

(٢) انظر الإيجى بالمواقف ص ٢٦٥ . و الرازى بالمحصل ص ١٤٢ و ابن سينا: الإشارات والتنبيهات جـ٣ ص ٤٣٥ ، ٤٣٩ .

(٣) الحجر : ٢٧ .

(٤) انظر عبد الرازق نوفل : عالم الجن والملائكة ص ١٣ - ١٦ .

تحديد عددها حتى إن الحاسبات الآلية العملاقة قد أوصلتها إلى ستة عشر بعداً إلا أن العلماء قد اتفقوا على وجودها وعلى أن وجودها ضرورة حسابية لا تصح المعادلات إلا بافتراضه، وهذه الأبعاد غير المنظورة إن شغلتها أي كائنات تصبح غير مدركة لنا لأنها في أبعاد غير مدركة بحواسنا[1] .

وهكذا يدخل العلم الحديث مسألة وجود الجن والكائنات غير المنظورة إلى حيز الممكن الوجود إن لم يكن إلى حيز الموجود فعلا .

حقيقة إمكان تسخير الجان في معرفة الغيب :

«واختلفوا في الجن: هل يخبرون الناس بشيء أو يخدمونهم؟على مقالتين:

ـ فقال«النظام»وأكثر المعتزلة وأصحاب الكلام: لا يجوز ذلك، لأن في ذلك فساد دلائل الأنبياء، لأن من دلالتهم أن ينبئوا بما نأكل وندخر .

ـ وقال قائلون: جائز أن يخدم الجن الناس، وأن يخبرونهم مالا يعلمون»[2] وهو الصواب ويشهد لذلك قوله تعالى﴿**هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون**﴾[3] .

وحديث البخاري وغيره«إن النبي ـ ﷺ ـ قال: إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عنده أنفسهم»[4] وهذا غيب المستقبل .

وأما قوله تعالى﴿**فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾[5] .

فهذا رغم أنه غيب حاضر إلا أن الجن لم تعلمه لأنهم كانوا في قيد سليمان عليه السلام بحكم الملك والنبوة، فتقيدت حركتهم، ولا خلاف أن الجن قد تعلم غيب الحاضر بل بعض غيب المستقبل كما سبق بيانه، وإنما كان النفي هنا لمعرفتهم

---

(١) عن د. مصطفى محمود:برنامج العلم والإيمان.حلقة مزاعة من التلفزيون المصرى بتاريخ ١٩٩٣/٦/٢١ (١٠) مساء .

(٢) الأشعرى : مقالات الإسلاميين جـ ٢ ص ١٢٤ . (٣) الشعراء : ٢٢١:٢٢٣ .

(٤) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب بدء الخلق جـ ٤ ص١٣٥. (٥) سبإ : ١٤ .

غيب الحاضر حالة خاصة، وهي وقوعهم تحت حكم سليمان .

وما تؤكد عليه الآية أن الجن خلق من خلق الله يخضعون كسائر الخلق لقانون الأسباب والمسببات، ولا يعلمون من الغيب سواء الماضي أو الحاضر أو المستقبل إلا ما يأخذون بأسبابه، فإذا منعوا السبب منعوا النتيجة .

ومن أهداف ذكر ذلك دحض دعاوى المشركين فيهم ومبالغتهم .

حقيقة انقطاع الكهانة :

وقد زعم بعض الناس أن هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة، وأن ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان إنما يتعرفون أخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ .

ـ ولا يقوم لذلك دليل لأن:

«علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضاً»[1] .

ثم إن قوله تعالى: ﴿**وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**﴾[2]. يحتمل أن المنع إنما كان مما يتعلق بخبر البعثة فقط لئلا يسرقون شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق ثم إن قول الجن(فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا)يعنى أنهم لا يعرفون المستقبل الآن، فلا يمكنهم الحكم عليه سواء بأن وضع السماء سيظل هكذا، وأنهم سيمنعون أبدا من خبر السماء أو بأن الوضع سيتغير وسيمكنهم استراق السمع فيما بعد .

ومن ثم فلا دلالة هنا لاعلى المنع ولاعلى الإمكان ويبقى الحكم هنا للواقع والتجربة. .

ثم إن قوله تعالى في الآية السابقة لهذه الآية ﴿**وأنا لمسنا السماء فوجدناها**

---

(١) ابن خلدون:المقدمة ص ١٠١ ـ ١٠٢ وانظر شروط المعجزة ـ اشتراط ألا تكون من الصناعات الكتسبة بالتعلم (الشرط ٣) .

(٢) الجن : ٩ .

ملئت حرسا شديدا وشهبا﴾[1] وقوله تعالى ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين﴾[2] وقوله ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا﴾[3] .

يدل على أن الشهب كان يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بمثل هذه الشدة بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس، قال أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله رمي بنجم فاستنار. فقال لهم رسول الله ﷺ ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله ﷺ فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا. . . فيستخبر بعض أهل السماوات بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون إلى أوليائهم ويرمون به. فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»[4] .

ولكن الفرق بين فترة البعثة وغيرها هو في كثرة الحرس وأن من يحاول الاستماع يجد له شهابا رصداً لا يتخطاه ولا يتعداه.

هـ - حقيقة وجود الشعوذة أو الشعبذة :

قد قلنا فيما سبق إن الشعبذة أو الشعوذة هي: الاحتيال وإراءة الشيء على غير حقيقته اعتمادا على خداع الحواس [5] .

وكما يعرفها ابن خلدون فهي تأثير في القوى المتخيلة يري به صاحب هذا التأثير غيره ما لا وجود له في الحقيقة [6] .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الشعوذة شيء وخفة اليد والحيل والخداع شيء آخر، وهو ما اصطلحنا على تسميته بالسحر المجازي .

---

(١) الجن : ٨ . (٢) الملك : ٥ . (٣) فصلت : ١٢ .

(٤) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب السلام فى باب تحريم الكهانة جـ ١٤ ص ٢٢٥ :٢٢٦ وأحمد جـ ١ ص ٢١٨ .

(٥) عبد السلام هارون وآخرون :المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥٠٣ (بتصرف) .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٩٨ (بتصرف) .

ولعل قوله تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾[1] يشير إلى هذا النوع من السحر، لأن السحر ليس فيه إحالة طبع ولا قلب عين.

فما حدث هو إما حيلة من الحيل (السحر المجاري) كوضع زئبق في العصي فيولد فيها مثل تلك الحركات، أو هو تأثير في القوى المتخيلة يري به صاحب هذا التأثير غيره ما لا وجود له في الحقيقة.

٤ ـ تأثير السحر والفرق بينه وبين المعجزة

أ ـ قدرة السحر على التنبؤ بالغيب:

مما سبق يتبين لنا أن للسحر القدرة على المعرفة الغيبية ونتحدث الآن عن طبيعة هذه المعرفة الغيبية، والفرق بينها وبين المعجزة.

فقد نشرت مجلة National Inquire الأمريكية): «أن ضمن ٣٦٤ تنبؤاً تم رصده من قبل المجلة لم يقارب الحقيقة سوى أربعة تنبؤات فقط، وهذا احتمال ضئيل جداً صادف أن حصل، ولا يمكن تثبيته كمنهج علمي أو اعتماده كأسلوب للتعامل» [2].

وكأن قوله ﷺ في الحديث: «إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[3] ليس المراد من المائة كذبة الكناية عن الكثرة، ولكن إعطاء نسبة تكاد تكون حقيقية في كثير من الأحيان.

وإذا أردنا أن نتعرف على سبب الخطأ ومن أين يأتي ؟

بالإضافة إلى ما سبق بيانه في الحديث من كذب الشياطين

فيرى ابن خلدون: أن سبب الخطأ هو الاستعانة بالأمور الأجنبية عن الذات المدركة والمباينة لها والغير ملائمة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما سنح من طير أو حيوان أو غير ذلك.

---

(١) طه: ٦٦.

(٢) مجدى الشهاوى: قراءة النجوم ص ٦٤.

(٣) البخارى: فى صحيحه عن عائشة جـ ٤ ص ١٣٥.

لأنه لما استعان بها كانت داخلة في إدراكة والتبست بالإدراك الذي توجه إليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة [1] .

ففي قراءة الفنجان مثلا كما يزعمون نجد أن للرمز الواحد أكثر من معنى وبعضها قد يكون متناقضا ثم إن بعض هذه الرموز قد تكون غير واضحة وقد تشتبه على القارئ كوجه القط ووجه النمر مثلا، ومن ثم تعتمد القراءة هنا على مهارة القارئ وقدرته على المواءمة بين ما يراه من أشكال حتى يخرج النسق واحدا[2] ومن ثم يعرض الخطأ .

هذا بالإضافة إلى أن المعرفة قد تكون ناقصة وقد يغري ذلك القارئ فيزيد من عند نفسه، كما يقول ابن خلدون: [3]

«وربما يفزع إلى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالإدراك بزعمه وتمويها على السائلين».

فمثلا يزعم أرباب قراءة الفنجان أنه«إذا ظهر حرف قرب رمز البجعة، فيمكن أن يكون دلالة على اسم الحبيب» [4] .

«وإذا ظهر حرف بجوار رمز الثعبان فهو دليل على اسم العدو» [5] .

ومن ثم فقد يزيد القارئ ويذكر الاسم كاملا اعتمادا على شهرة اسم معين في ذلك المجتمع أو اعتمادا على معرفة القارئ بصاحب الفنجان وأقاربه، وأصدقائه وأعدائه فتكون المعرفة هنا مبنية على التخمين الذي قد يصدق أو يكذب .

«والتنجيم مبناه على أن الحركات العلوية هي السبب في الحوادث والعلم بالسبب يوجب العلم بالمسبب وهذا إنما يكون إذا علم السبب التام الذي لا يتخلف عنه حكمه، وهؤلاء أكثر ما يعلمون - إن علموا - جزءاً يسيراً من جملة الأسباب الكثيرة ولا يعلمون بقية الأسباب ولا الشروط ولا الموانع» [6] .

---

(١) انظر ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) انظر أحمد حسين الشاعر : أسرار الفنجان ص ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣٥ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ١٠٠ .

(٤) أحمد حسين الشاعر : أسرار الفنجان ص ٤٣ .

(٥) السابق ص ٤٨ .

(٦) مجدى الشهاوى : قراءة النجوم ص ١٠٧ .

ويعقد الرازي في كتابه النبوات فصلا عن بيان أن الوقوف على أصول هذا العلم عسر المنال[1] ويقسمه إلى ثلاثة أصول:

- الأصل الأول :أنه يعسر علينا معرفة جميع النيرات
- الأصل الثاني :أنه يعسر الوقوف على معرفة مواضعها من الفلك
- الأصل الثالث :أن الوقوف على طبيعة كل كوكب بحسب تأثيره صعب عسير.

ويؤكد ذلك الغموض والتشويش في مثل هذه العلوم اختلافات العلماء الكثيرة في أصولها والتي قد تصل أحيانا إلى حد التناقض.

هذا بالإضافة إلى أنه﴿يمحوا الله ما يشاء ويثبت و عنده أم الكتاب﴾[2] قال عكرمة عن ابن عباس: الكتاب كتابان فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وروى ابن جرير أن كعبا قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوك القيامة، قال وما هي؟ قال قول الله تعالى ﴿يمحوا الله ما يشاء﴾ الآية [3].

ويؤكد صعوبة تلك المعرفة الغيبية قوله ﷺ «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر»[4].

إلا أننا من آن إلى آخر نسمع عن عرافين كما يدعي بعض الجهلاء : لا يكادون يخطئون تنبؤاً.

فقد نشرت جريدة المقطم المصرية عن عرافة تدعى(مدام ترفران ليلى) أنباء قالتها للوزراء والملوك والرؤساء في أوربا ثم وقعت كما أنبأت [5].

---

(١) الرازى : النبوات ص ٢١١ :٢١٦. (٢) الرعد : ٣٩ .

(٣) انظر ابن كثير :تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص ٥١٩ : ٥٢٠ .

(٤) رواه أحمد فى مسنده والنسائى فى سننه وابن ماجة فى سننه وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير .

(٥) انظر جريدة المقطم المصرية عدد غرة صفر ١٣٥٤هـ مايو سنة ١٩٣٥ وانظر كذلك محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى هامش ص ١٣٧ .

ونشرت جريدة الأهرام المصرية كذلك أن الطبيب والفلكي الإيطالي الشهير نوستراداموس الذي عاش في القرن السادس عشر تنبأ بسقوط ميخائيل جورباتشوف من قمة السلطة السوفيتية خلال [صيف ١٩٩١] وقالت وكالة الأنباء الإيطالية إن الكاتب الإيطالي«ريناتشيوبوسكولو»أبلغ مؤتمراً صحفياً في شهر إبريل من نفس العام بأن نوستراداموس توصل إلي هذه النبوءة ما بين عامي ١٥٥٥، ١٥٥٨ ميلادية وأوضح الكاتب في ذلك المؤتمر الصحفي أن تفسيره لنبوءة نوستراداموس يقرر أن جورباتشوف ستتم إزاحته عن السلطة ما بين شهري مايو وأغسطس من عام ١٩٩١ وبعد ٧٣ عاما من انتهاء الحرب العالمية الأولى[١] .

وللكاتب الصحفي«أنيس منصور»في عموده مواقف في جريدة الأهرام المصرية أثناء حرب الخليج عدة مقالات عن نوستراداموس وكتابه القرون والذي ترجم في هذه الفترة إلى اللغة العربية باسم تنبؤات نوستراداموس» .

وإذا أردنا أن نتعرف على سر هذه الشهره العالمية لنوستراداموس وغيره من المتنبئين، والتي تدعي لهم الإصابة التي لا تخطئ .

فسنجد من أسباب ذلك:

١ ـ الدعاية السياسية، وخاصة في أوقات الحروب، والتي كثيراً ما زورت تلك التنبؤات لصالحها [٢] .

يقول مترجم«تنبؤات نوستراداموس»[٣]: لقد كان نوستراداموس بالذات ضحية التزوير على مر القرون. .واستخدم نوستراداموس على أنه ماكينة دعاية» .

٢ ـ «طرافة ذلك منهم، لأنهم لو قالوا فأخطئوا أبداً لما كان عجبا لأنه ليس بعجب أن يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل أن يكون ومن أعجب العجب أن يوافق قولهم بعض ما يكون . . .

---

(١) انظر جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٩١ م .

(٢) فمن الملاحظات الجديرة بالاعتبار أن مترجم تنبؤات نوستراداموس إلى العربية مجهول . وأن الترجمة العربية التى بأيدينا طبعة عام ١٩٩١م أى أنها طبعت فى غضون حرب الخليج واشتعال الصراعات الإقليمية فى العالم وسقوط الشوعية، وتفكك روسيا وغيرها من التكتلات السياسية الكبرى .

(٣) تنبؤات نوستراداموس ص ١٤ ، من المقدمة .

٣ ـ والمنجم عند العوام كالطبيب الذي إن قتل المريض علاجه كان عندهم أن القضاء هو الذي قتله، وإن برأ كان هو أبراه. على أن صواب [الأطباء] ودليلهم أظهر.

٤ ـ وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم دون أن يولدوا لهم ويضعوا الأعاجيب على ألستهم»[١].

ونتحدث الآن عن الفرق بين معجزة الأنبياء في معرفة الغيب ومعرفته لغيرهم من المتنبئين والكهان:

١ ـ فنقول: إن ما يخبر به الكهان من الغيب هو مما يعلم بالمنامات، وغير المنامات، فهو من جنس المعتاد للناس وما يخبر به الأنبياء خارج عن المعتاد.

فخطأ الكهان كثير، وصوابهم قليل، بل أقل من القليل فنجد الكهان يختلفون في القضية الواحدة، ويخطئون في أكثرها، ونجد الرسول يخبرهم عما يأكلون ويشربون، ويدخرون، ويضمرون، في الأمور الكثيرة المعاني، والمختلفة في الوجوه، حتى لا يخطئ في شيء من ذلك.

ولذلك قال تعالى مفرقا بين النبي الصادق والمدعي الكاذب﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾[٢].

وفي الحديث«إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم»[٣].

وعن عائشة«قالت سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم رسول الله ﷺ ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون أحيانا الشيء يكون حقا قال رسول الله ﷺ تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[٤].

---

(١) الجاحظ: حجج النبوة ضمن مجموعة الرسائل جـ ٣ ص ٢٦١:٢٦٣.

(٢) الشعراء: ٢٢١:٢٢٣. (٣) رواه البخاري في صحيحه عن عائشة جـ ٤ ص ١٣٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه جـ ١٤ ص ٢٢٥.

وهذا ما اعترف به ابن صياد كاشفا عن حاله عندما سأله النبي ﷺ «ماذا ترى قال ابن صياد يأتيني صادق وكاذب» [1] .

واعترف به المحدثون، فقد اعتادت كثير من الصحف والمجلات ومنها جريدة الأهرام المصرية نشر بيان من رئاسة الاتحاد العالمي للفلكيين الروحانيين - قرب حلول العام الميلادي الجديد تعلن فيه الرئاسة عن ثلاث جوائز تقديرية لهؤلاء الذين تكون نسبة تنبؤاتهم على درجة كبيرة من الدقة والصدق .

٢ - وليس الفارق بين أخبار الأنبياء بالغيب وأخبار الكهان هو من حيث الصدق والكذب فقط بل يمكن التفرقة بين كلام هذا وكلام هذا وحتى قبل أن يصدق الواقع النبوءة أو يكذبها.

فكلام الكهان يتميز بالغموض والتعميم واحتمال المعاني الكثيرة والتفسيرات المتعددة، بل والمتناقضة حتى يمكنهم المراوغة ولا يتبين كذبهم .

مثل قول نوستراداموس: «من خلال شق في البطن، سيولد مخلوق برأسين وأربعة أذرع وسيعيش بضع سنين، وفي اليوم الذي تحتفل فيه الكويلوا بأعياده سيتبعها في ذلك كل من فوسانا وتورين وحاكم فيرارا [يقول شارح التنبؤات]: إنها رباعية معقدة تتناول كلا من نابليون وآل بوربون. يستحيل تفسير البيت الأول تفسيراً حرفيا بأنه وصف لعملية ولادة قيصرية إلا أنه يشير - وهذا الأكثر احتمالا إلى لويس السادس عشر على أنه البطن وتعد هذه إحدى الرباعيات التى قلب فيها نوستراداموس السياق الزمني» [2] .

فنلاحظ هنا مدى الغموض والتعقيد واحتمال التفسيرات المتعددة المتكلفة، والتي لا تخلوا من الخطأ كقلب السياق الزمني كما يقول الشارح.

وفي رباعية أخرى يقول: «سيندم الملك بعد فوات الأوان على أنه لم يعدم خصمه، ولكن سرعان ما سيوافق على أشياء أعظم، ستؤدي إلى انقراض سلسلة نسبه بكاملها .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه جـ ٢ ص ١١٧ .

(٢) نوستراداموس : التنبؤات ص ٥٣ وكل من الكويلوا وفوسانا وتورين . اسماء مدن .

[ويعلق الشارح على ذلك بقوله]: «يبدو أن هذه الرباعية تتناسب وحدثين تاريخيين بدرجة متساوية من الانطباق. . .»[1] وأنا أقول إنها تتناسب مع عشرات الأحداث التاريخية بدرجة متساوية أما النبي حين يذكر حادثه، أو شيئا لم يحدث ويحدد أنه سوف يحدث في المستقبل فإنه يحدد ملامح الحدث كاملة وربما يتطرق إلى التفاصيل تطرق المشاهد، ويحدد الألفاظ تحديد المخبر عن عيان، والراوي عن شهود وإحساس وإدراك .

وهذا النوع من الأخبار فيه شيء من المجازفة لأنه لا يستخدم ألفاظا عامة، أو عبارت غامضة الفهم، أو بعيدة عن الإدراك، أو حمالة للوقوع، وغير الوقوع، فلو أن هذا الحدث المحدد لم يحدث فعلا فإن النبي الذي أخبر به لا يملك أن يعتذر عنه أو يأوله بأي طريقة ممكنة .

فحين يخبر النبي عن غيب بهذه الدقة يكون قد أخبر عن شيء فوق طاقة الإنس والجن مادام هذا الذي قد أخبر به لا يخضع لقانون علمي، أو نظرية مفهومة الأسباب والنتائج .

كقوله تعالى: ﴿الم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين﴾[2] وقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾[3] .

وكقوله عليه الصلاة والسلام: «تخرج نار من حضرموت أو بحضرموت فتسوق الناس قلنا يا رسول الله ما تأمرنا قال عليكم بالشام»[4] . وكتحديده ﷺ مصارع المشركين في بدر قبل المعركة[5] وغير ذلك كثير[6] .

٣ ـ وكما يفترق كلام الكهان عن كلام الأنبياء بكثرة كذبة وغموضه وعموميته يفترق كذلك «بنقصه» .

وقد سبق أن ذكرنا أن معرفة اسم المحب أو العدو من قراءة الفنجان كما يزعمون مقتصرة على معرفة الحرف الأول من اسمه فقط [7] .

---

(١) السابق ص ٤٢ . (٢) الروم : ١ : ٤ . (٣) المائدة : ٦٧ .

(٤) رواه أحمد في المسند جـ٢ ص٨ ،جـ٤ ص٦ ،٧ وأبو داود في سننه في الباب(١٢) من كتاب الملاحم، والترمذي في سننه في الباب (٤٢) من كتاب الفتن . (٥) رواه مسلم في صحيحه جـ٢ ص٨٤ طـ الحلبي .

(٦) انظر أحمد عبده حسين عبد الموجود: معجزات خاتم النبيين في ضوء القرآن والسنة(رسالة ماجستير) وانظر كذلك: محمد ولي الله عبد الرحمن: إزالة اللثام عما تنبأ به سيد الأنام ﷺ(رسالة ماجستير) .

(٧) انظر أحمد حسين الشاعر : قراءة الفنجان ص ٤٣ : ٤٨ .

ولما أراد الرسول ﷺ أن يمتحن ابن صياد ليعلم حقيقة حاله ويظهر إبطال حاله للصحابة امتحنه بإضمار قول الله تعالى ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ (١) وقال«إني قد خبأت لك خبيئا فقال ابن صياد هو الدخ[أي الدخان، وهي لغة فيه]فقال له [النبي ﷺ] اخسأ فلن تعدو قدرك»(٢) أي لا تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة، بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فإنهم يوحى الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحي فيكون واضحا كاملا .

٤ ـ ويفرق أيضا بين إخبار النبي بالغيب وإخبار الكاهن بثقة النبي بخبره وعدم ثقة الكاهن بذلك .

ففي قراءة الفنجان مثلا يزعم أهل القراءة أنه لو ظهر«وجه اشتبه على القارئ فوجده يمكن أن يكون وجه أسد أو وجه قط، هنا يختار التفسير الذي يراه أقرب إلى الحالة التي هو بصددها، ومن ثم فإن القارئ لابد أن يتمتع بحكمة التمييز بين الأشياء، وبالقدرة على المواءمة بين ما يراه من أشكال حتى يخرج النسق واحدا .وقد يضطره الأمر ليرجح بين رمز وآخر إذا كان الشكل مبهما إلى الدوران في الفنجان كله بحثا عن دلالات هنا وهناك، تؤكد هذا الرمز أو ذاك حتى يستطيع أن يركن إلى اختيار معين، فإذا لم يجد فإنه يصبح في حل من إسقاط هذا الرمز المشتبه فيه من الحساب» (٣) .

ـ وهذا اعتراف صريح من أهل القراءة بنقصان معرفتهم وعدم الوثوق التام بها.

ويؤكد ذلك أيضا أن الأسود العنسي بالرغم من أنه كما يروى كان له شيطانان يبلغانه بأمور الناس ـ كما قال الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني في فتح الباري:

«روى يعقوب بن سفيان، والبيهقي في دلائل النبوة من طريقه من حديث

---

(١) الدخان : ١٠ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه جـ٢ ص١١٧ .كتاب الجمعة باب الجنائز وكذلك مسلم فى صحيحه فى باب ذكر ابن صياد من كتاب الفتن جـ١٨ ص ٤٨ .

(٣) أحمد حسين الشاعر : أسرار الفنجان ص ٢٤ : ٢٥ .

النعمان بن بُزْرج قال: خـرج الأسود الكذاب وهو من بني عنس، وكان له شيطانان يقال لأحدهمـا «سحيق» وللآخر «شـقيق» وكانا يخبرانه بكـل شيء يحدث من أمور الناس» [1] .

إلا أنهما لم يستطيعا تبليغـه بكل ما يحدث من مؤامرات على قتله، ومن ثم فإني اعـترض على عـبارة (وكانا يخـبرانه بكل شيء يحـدث من أمور الناس) في النص السابق .

- بدليل عدم إخباره عن اشتراك إمرأته في مؤامرة قتله وعدم شكه فيها.

- وبالرغم من إخبار الشياطين له عن تآمر قيس بن مكشوح وفيروز الديلمي وغيرهما، وبالرغم من شكه فيهما إلا أنه لم يقتلهما واستطاعا أن يخدعاه بكلامهما وما ذلك إلا لعدم ثقته بوحي شيطانه [2] .

٥ - ويضيف ابن تيمية فرقا آخر في قوله: «والإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض الأخبار فهذا تفعله الجن كثيرا مع الكهان. وهو معتاد لهم مقدور بخلاف إخبارهـم بما يأكلون وما يدخرون مع تسمية الله على ذلك، فـهذا لا تظهر عليه الشياطين، وبنو إسرائيل كانوا مسلمين يسمون الله» [3] .

وكلام ابن تيميـة هنا إن كان يعنى أن تسمية الله تحول دون الكهـان ومعرفة الغيب فهـو باطل لأن ابن صياد عندما امـتحنه الرسول، عرف غـيب الحاضر، وإن كانت معرفته به ناقصة، والرسول والمسلمون مثل بني إسرائيل يسمون .

وإنما كان الفرق بين إنباء عيسى عليه الـسلام. وغيره من الأنبياء بالغيب وبين أخبار الكهان أن أخبار الكهان بها من الكذب والغموض والإجمال والنقص، وعدم الثقة بالخبر مالا يوجد في أخبارالأنبياء .

وأما قـول ابن خلدون «إن السحر لا يثبت مع اسم الله وذكره» [4] واستدلاله

---

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح البارى جـ ٩ ص ١٥٦ .

(٢) انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٦ ص ٣١١ : ٣١٤ .

(٣) ابن تيمية : النبوات ص ٥ :٧ .

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٢ .

على ذلك بأنه«لما أنزل على النبي ﷺ في المعوذتين﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾[1]. قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرأها على عقدة من العقد التي سحر فيها إلا انحلت» .

فاستدلاله باطل لأنه ـ ﷺ ـ لم يترك ذكر الله تعالى أبداً، وبالرغم من ذلك سحر، وأثر السحر فيه[2] ولم يمنع ذكره الدائم لله من تأثير السحر فيه، وإنما بطل السحر لما أخرجه ﷺ من البئر وأبطله وقرأ عليه المعوذتين .

فإبطال السحر كان بإخراجه، وإبطاله وقراءة المعوذتين عليه لا بمجرد ذكر الله تعالى .

وكذلك استدلاله بما نقله المؤرخون من أن«راية كسرى كان فيها الوفق المثيني العددي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد انهزام أهل فارس وشتاتهم، وهو فيما يزعم أهل الطلسمات والأوفاق مخصوص بالغلب في الحروب، وأن الراية التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلا إلا أن هذه عارضها المدد الإلهي من إيمان أصحاب رسول الله ﷺ وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري، ولم يثبت »[3] .

وليس ذلك بدليل مقنع بدليل هزيمة الفرس من قبل على أيدى الروم وغير المسلمين بالرغم من وجود هذه الراية معهم .

٦ ـ ويفرق أيضا بين أخبار النبي وأخبار الكاهن. قول ابن خلدون عن الكهان: «لكون هذه النفوس مفطورة على النقص والقصور عن الكمال كان إدراكها في الجزئيات أكثر من الكليات، ولا يقوى الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات لأن وحيه من وحي الشيطان»[4] .

---

(١) الفلق : ٤ .

(٢) انظر ملحق رقم (٢).

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٠٢ .

(٤) السابق : ص ١٠٠ .

ب - حقيقة قدرة السحر على قلب الأعيان والأجناس :

ونعني بقلب الأعيان هنا: الأمور التي ليست في مقدور البشر أما قلب المواد كما هو معلوم لدى المشتغلين بصناعة الكمياء ونحوها فذلك أمر وارد لأن الله تعالى سخر كل ما في الكون لخدمة الإنسان وهداه إليه وأمره بالتفاعل معه .

واختلف في السحر، هل يستطيع الساحر بسحره أن يقلب الأعيان أم لا ؟

فقالت إخوان الصفا [1] «ومن السحر قلب الأعيان وخرق العادات».

وقال القرطبي: [2] «ومن السحر ما يكون كفرا من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس، وإخراجهم في هيئة بهيمة، وقطع مسافة شهر في ليلة، والطيران في الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه» .

وفي الكتاب المقدس: «طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام العبيد فصارت ثعبانا، فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك، طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين، ولكن عصا هارون ابتلعت عصيهم»(٣) .

ففي التوارة كما يتبين لنا من النص السابق أن هارون هو الذي ألقى العصا، وأن عصي سحرة فرعون قلبت إلى ثعابين حقيقية إلا أن الفارق بين سحرهم، والمعجزة أن عصا هارون ابتلعت عصي السحرة .

وفي الكتاب المقدس كذلك: «ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك، ومد يدك على مياه المصريين، على أنهارهم وعلى سواقيهم، وعلى آجامهم، وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماء، فيكون دم في كل أرض مصر في الأخشاب وفي الأحجار ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون، وأمام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دما، ومات السمك الذي في النهر وأنتن، فلم يقدر المصريون أن يشربوا ماء من النهر، وكان الدم في كل أرض مصر. وفعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم فاشتد

---

(١) إخوان الصفا : الرسائل جـ ٤ ص ٣١٣ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٣٥ .

(٣) سفر الخروج الأصحاح السابع آية ١٠ :١٢ .

قلب فرعون، فلم يسمع لهما كما تكلم الرب»[1] .

فالكتاب المقدس يثبت للسحر القدرة على قلب الأعيان كما يتبين مما سبق وهذا ما ينتقده ابن حزم قائلاً [2] «إن في نص الكلام الذي يزعمونه التوراة: «. . . وصار الماء في جميع أرض مصر دما ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم . . .» فأي ماء بقي حتى تقلبه السحرة دما كما فعل موسى وهارون؟ . . فإن قالوا قلبوا ماء الآبار التي حفرها المصريون حول النهر قلنا لهم: كيف عاش الناس بلا ماء أصلا؟» .

ولو صح هذا لبطلت نبوة موسى عليه السلام، بل نبوة كل نبي ولو قدر السحرة على شيء من جنس ما يأتي به النبي لكان باب السحرة، وباب مدعي النبوة واحداً ولما كان لموسى عليه السلام عليهم بنبوته أكثر من أنه أعلم بذلك منهم فقط ولو كان الأمر كما قال هؤلاء لكان فرعون صادقا في قوله: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ [3] .

ولو كان للسحرة القدرة على قلب الأعيان :

١ ـ لقلبوا الحجارة وغيرها ذهبا، ولصاروا أغنى الناس ولما عاشوا كما هو واقعهم المشاهد ـ غالبا ـ في ضيق من الحياة حفاة عراة متحايلين على الناس بالباطل لابتزاز أموالهم، ولما طلبوا من فرعون أول ما طلبوا الأجر ﴿أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين﴾[4] .

٢ ـ ولدفعوا عن أنفسهم كيد فرعون وقد قال لهم ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف. ولأصلبنكم أجمعين﴾[5] وكيد غيره، وقد عاشوا في أغلب الأمصار والأزمان مطاردين، وما مس أعداءهم منهم قلب ولا مسخ .

٣ ـ بل ولأصبحوا المتربعين على عروش الدنيا بأسرها لا ينازعهم في ذلك منازع .

---

(١) سفر الخروج الأصحاح السابع آية ١٩ :٢٢ .

(٢) ابن حزم : الفصل جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٣) طه :٧١ .

(٤) الشعراء : ٤١ . (٥) الشعراء : ٤٩ .

٤ ـ ولردوا أنفسهم إلى الشباب، ولدفعوا عن أنفسهم المرض والموت .

وكل ذلك بالطبع مخالف للحقيقة الواقعة المشاهدة .

وأقصى ما قد يقال في هذا الباب عن قلب الأجناس أن الجن قد تخفي شيئاً، وتأتي بآخر، فيظن أن ذلك قلبا وما هو بالقلب[١] .

وبفرض أن ذلك هو ما حدث لعصي سحرة فرعون فقد ظهرت المعجزة بابتلاع حية موسى لجميع حيات السحرة .

وأما معجزة قلب الماء دما فإن استطاع الجني أن يخفي بعض الماء ويحضر بدلاً منه بعضا من الدم، فلا يستطيع أن يفعل الجن مثلما فعل موسى فيقلبوا كل ماء في مصر إلى دم. وإلا فأين يضعون كل هذا الماء. ومن أين لهم بكل هذا الدم؟

جـ ـ حقيقة قدرة السحر على قلب الطبائع :

يرى كثير من العلماء أن للسحر القدرة على قلب الطبائع فللساحر أن يطير في الهواء ويمشي على الماء ويتشكل بأشكال مختلفة في شكله وصورته، ويسترق جسمه[٢] كما روى سفيان عن عمار الذهبي أن ساحراً كان عند الوليد بن عقبة كان يدخل في إست الحمار، ويخرج من فيه فاشتمل له جندب على السيف فقتله، وقيل أن هذا هو جندب بن كعب الأزدى ويقال له الجبلي ـ وهو الذي يقال إن النبي ﷺ قال في حقه «يكون في أمتي رجل يقال له جندب يضرب ضربة بالسيف يفرق بين الحق والباطل»[٣] .

ويرى الرازي أن ذلك «في غاية البعد إلا إذا حمل ذلك على الاستعانة بالجن أو سائر الأرواح، وهو في غاية البعد»[٤] أيضا، فالطيران في الهواء والقفز من بلد إلى بلد أمر مستبعد وإن حدث فلعله بحمل الجني له وطيرانه به كما هو الشأن في عرش بلقيس حين عرض عفريت من الجن على سليمان عليه السلام نقله إليه أما

---

(١) انظر :حقيقة قدرة السحر على نقل الأشياء في الفصل الأول من الباب الثاني .

(٢) انظر ابن سينا: رسالة فى الفعل والانفعال ص ٦ . ، الجوينى :الإرشاد ص ٢٧٠، والقرطبي :الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٣٧ .

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص٤٣٧ . (٤) الرازى : النبوات ص ٢٠٣ .

قولهم إن جسم الساحر يستدق حتى يتولج في الكوات والخوخات فهو في غاية البعد ولعله الجني يخفي صاحبه ويظهر في صورته ويفعل هو مثل هذه الأفعال، فللجن القدرة على التشكل في أي صورة شاءوا كما أكد على ذلك الرسول ﷺ في قوله«إن بالمدينة جنا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئا[أى شيئا ظاهرا في صورة مرئية كصورة حيوان أو طير أو غير ذلك] فآذنوه ثلاثة أيام فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان[1] .

ونفس الشيء يمكن أن يقال عما يروى عن«د. الفرد رسل والاس الذي اكتشف مع تشارلز داروين نظرية التطور أو البقاء للأصلح من أنه سافر إلى المناطق الاستوائية، ورأى هناك ساحراً يمسك بالأرنب الأبيض وينفخ فيه فإذا هو أسود ثم ينفخ فيه مرة أخرى فإذا هو يرتد إلى لونه الأصلي وساحر القبيلة واقف عريان أمام الجميع، فليس في الإمكان أن يخفي شيئا فى ملابسه. .وتقدم والاس لأحد السحرة بعصا وطلب إليه أن يغير لونها. .وكان ذلك مستحيلا لأن العصا من المعدن وأمسكها ساحر القبيلة فجعلها في لون الفضة، ثم في لون الذهب. .ثم جعلها من زجاج. .كل ذلك في لحظات»[2] .

فالجن لها القدرة على أن تذهب بالأرنب الأبيض وتحضر الأسود دون أن يشعر بذلك أحد من البشر، وكذلك الأمر بالنسبة لعصا والاس[3] .

ويقرب هذه المسألة إلى أفهامنا العلم الحديث عندما يقرر أن المادة يمكنها أن تتحول إلى طاقة غير مرئية تنفذ عبر الإجسام الصلبة ثم تعود مرة أخرى لحالتها الأولى، ويشير د. رءوف عبيد إلى أنه «قد لوحظ في بعض المجلوبات الروحية أنها تجئ إلى غرف الجلسات ساخنة ثم تبرد تدريجياً[4] .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى جـ ١٤ ص ٢٣٥ .

(٢) أنيس منصور : القوى الخفية ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٣) انظر رءوف عبيد: مفصل الإنسان روح لا جسد جـ١ص٩٦٧ ـ ٩٨٦ حيث يتحدث عن الانتقال بالجسد الفيزيقى ويذكر أن ذلك ممكن ومشاهد بكثرة عبر الجدران والسقوف والصناديق المغلقة فى جلسات تحضير الأرواح ويذكر أمثله على ذلك وتحقيقات كثيرة لا يعنينا هنا سردها لأنه حتى بفرض قبولها جدلا فلا يطعن ذلك فى المعجزة .

(٤) السابق جـ ١ ص ١٧٤ .

ومن ثم فلا يشتبه ذلك بفرض صحته مع معجزة موسى عليه السلام في اليد البيضاء لأن قدرة الجن على أخذ شيء وإخفائه وإحضار غيره لا يمكن في مثل يد الإنسان إلا بقطعها .

ثم إن لون يد موسى عليه السلام نفسه معجز ولا يمكن وجود مثله لأي شيء سواء بقدرة الإنس أو الجن .

قال القرطبي: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾[1] أي«من غير برص نورا ساطعا يضئ بالليلِ والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءاً»[2] .

«قال ابن عباس: كان ليده نور ساطع يضئ ما بين السماء والأرض»[3] .

وكذلك المشي على الماء فهو لغير الأنبياء ليس بخارق حقيقي فلعله بمعونة الجن مثلا. أما ما كان منه معجزة لنبي[4] أو كرامة لولي[5] فهو خارق حقيقي لم يجعله الله تحت قدرة أحد من عامة خلقه .

وإنما يتبين الفارق هنا بين ما كان معجزة لنبي أو كرامة لولي وبين ما كان بمعونة الجن أو بأي سبب طبعي لمن علم ذلك كالجن أنفسهم مثلا وهم من أمة الدعوة فهم بالطبع يعرفون الفرق بين ما يكون من فعلهم وما لا يكون وقد يجعل الله لبعض الإنس من الأسباب ما يفرق به بين المعجزة وما يكون بفعل الجن أو قوانين الطبيعة فدلالة المعجزة نسبية .

أما إذا كان المشى على الماء للنبي أو للولي بإعانة الجن المؤمن فلا يعتبر ذلك معجزاً للنبي أو كرامة للولي وإنما يعتبر ذلك معونة لهما من الله تعالى .

وأما ما يرويه أحد الكتاب المعاصرين من أنه وجد في مدينة كولمبو في عام ١٩٥٩ جماعة من الرهبان يمشون حفاة على النار وهي عبارة عن مساحة من الفحم

---

(١) طه : ٢٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٥ ص٤٢٣١ .

(٣) السابق جـ ٣ ص ٢٦٩٣ .

(٤) وقد كان ذلك معجزة للمسيح عليه السلام.انظر إنجيل متى الأصحاح ١٤ آية ٢٦ :٣٢ .

(٥) كما جرى للعلاء بن الحضرمي،ولأبي مسلم الخولاني في عبور الجيش انظر:ابن تيمية : النبوات ص ٢٦٠ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٦ ص ١٦٣ .

الملتهب مساحتها أربعة أمتار وعمقها متران. ودرجة الحرارة تصل إلى ٥٠٠ مؤيه، دون أن يصيبهم أي شيء[١].

فاحتمال الخديعة هنا قائم لأنهم هم الذين فعلوا ذلك بكامل رغبتهم، ولا يشتبه ذلك بمعجزة إبراهيم عليه السلام لأنه ألقي به في النار رغما عنه، ولم يذهب إليها بنفسه كهؤلاء.

ثم إن ناره ـ عليه السلام ـ ليست كنارهم، ومدة لبثه فيها ليست كمدة لبثهم.

يقول القرطبي:[٢]«وجاء في الخبر: أن نمرود بنى صرحاً طولة ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعا. قال ابن إسحق: وجمعوا الحطب شهراً ثم أوقدوها، واشتعلت واشتدت، حتى إن كان الطائر ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها، ثم قيدوا إبراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا».

«وقال كعب وقتادة: لم تحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه. فأقام في النار سبعة أيام لم يقدر أحد أن يقرب من النار»[٣].

ويؤكد ابن حزم على أن السحر ليس فيه قلب للأعيان ولا إحالة للطبائع، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته**﴾[٤] وبقوله: ﴿**وعلم آدم الاسماء كلها**﴾[٥] وبقوله﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾[٦] فكل ما في العالم قد رتبه الله عز وجل الرتب التي لا تتبدل، وأوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز أن يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذي أوقعه الله تعالى عليه، لأنه يكون تبديلاً لكلمات الله تعالى التي

---

(١) انظر أنيس منصور: القوى الخفية ص ٥٩.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ٥ ص٤٣٤٣.

(٣) السابق جـ٥ ص ٤٣٤٤.

(٤) الأنعام: ١١٥.

(٥) البقرة: ٣١.

(٦) يس: ٨٢.

أبطل عز وجل أن تبدل، ومنع من أن يكون لها مبدل ولو جاز أن تحال صفات مسمى منه التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب أن يسقط عنه ذلك الاسم الذي أوقعه الله تعالى عليه، ومن ثم فقد وجب أن كل ما في العالم لا يتبدل منه شيء إلا حيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك إلا على أحد وجهين إما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة، وعلى ما بنى الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيوانا. والنوى والبذور شجرة ونباتا، وسائر الاستحالات المعهودة وإما استحالة لم تعهد قط، ولا بنى الله تعالى العالم عليها، وذلك قد صح للأنبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم، وجد ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم، ونقل إلى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الإقرار بذلك وبقي ما عدا أمر الأنبياء عليهم السلام على الامتناع لأنه لم يقسم برهان بوجود ذلك ولا صح قط به نقل[1].

وإنما يتضح الفرق بين ما يمكن تبدله وما لا يمكن تبدله لأهل العلم بحدود الأسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من أجناس أجناسه إلى أنواعه إلى أشخاص أشخاصه، وما هو من أعراضه ذاتي وما هو منها غيري، وما تسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها، وما يبطئ زواله منها، وما يثبت منها ثبات الذاتي وإن لم يكن ذاتيا، والفرق بين البرهان وبين ما يظن أنه برهان وليس برهانا[2].

د - حقيقة قدرة السحر على إحياء الموتى:

وليس للسحر هذه المقدرة وخالف في ذلك بعض العلماء يقول محمد رشيد رضا[3]: «وما ينقل عن صوفية الهنود من إعادة الحياة إلى ميت مؤقتا فهو إن صح مكسوب بالرياضة، وقد ثبت عن بعض أطباء هذا العصر إعادة الحياة الحيوانية إلى فاقدها عقب فقدها بعملية جراحية أو بمعالجة للقلب».

وأقول إن إحياء الأنبياء للموتى على سبيل المعجزة هو إحياء لميت قد مات موتا حقيقيا.

---

(١) انظر ابن حزم: الفصل جـ٥ ص ١٠٠ وانظر كذلك جـ ١ ص ١٤٥.

(٢) انظر السابق جـ٥ ص ١٠٣.

(٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ١٤٦.

وأما ما يروى عن اليوجيين وأصحاب الرياضات الروحية وغيرهم من إحياء للأموات فهو إن صح فمرده إلى الموت الظاهري كتوقف القلب مثلا، ولم يعد ذلك الآن في عصر العلم بالشيء العجيب الخارق، والأطباء يفعلون كل يوم .

ومن جوز إمكان إحياء ميت لهؤلاء الروحانيين لجوز الخلد لهؤلاء ولابنائهم وذويهم ولمن يبذل لهم المال، ولاشتهر ذلك الأمر. ونحن ما سمعنا عنه قط فدل ذلك على عدم وجوده .

ويقص علينا رشيد رضا كذلك ما روته إحدى الجرائد المصرية[1] عن حادثة لفقير من الفقراء اسمه(سارجو هارديأس) وقعت سنة ١٨٣٧م في الهند! خلاصتها أن هذا الفقير جاء قصر المهرجا(رانجيت سنجا) أمير بنجاب، وعرض عليه أن يريه بعض كراماته بأن يدفن أربعين يوما ثم يعود حيا، وكان ذلك بمشهد نفر من الأطباء الإنجليز والفرنسيين. وأمراء بنجاب ونجح في ذلك .

ويعلق رشيد رضا على هذه الحادثة بأنها من آيات الله التي أظهرتها الرياضة الكسبية، وهي أعجب من روايات الإنجيل لموت لعازر ثم حياته بدعاء المسيح بعد أربعة أيام. وأغرب من حادثة أصحاب الكهف أيضا من بعض الوجوه، فإن الفقير الهندي حيل بينه وبين الهواء الذي لا يعيش أحد بدونه عادة. وأهل الكهف ناموا في فجوة واسعة من كهف بابه إلى الشمال مهب الهواء اللطيف وكانت الشمس تصيب مدخله من جانبيه عند شروقها وعند غروبها مائلة متزاورة عنهم فتلطف هواءه من حيث لا تصيبهم، وإنما كان أكبر الغرابة في نومهم طول مدة لبثهم فيه [2]

وأقول إنه ليس هنا إحياء للموتى، لأن الفقير الهندي وإن لم يوجد له نبض كما قيل إلا أنه كانت هناك حرارة في منطقة الدماغ ـ كما صرح بذلك الطبيب الذى فحصه ـ تؤكد على حياته .

---

(١) انظر جريدة الاتحاد أوائل عام ١٣٥٢ هـ .

ـ وأمثال هذه القصة كثير انظر رءوف عبيد:الإنسان روح لا جسد جـ ١ ص ١٠٢٣ .

وانظر Desmond Dunne : Yoga For Everyone. p . 81

(٢) انظر محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى ص ١٤٣:١٤٤.

وما حدث للفقير الهندي هو من جنس ما يحدث لكثير من الحيوانات فيما يسمى بالبيات أو الكمون الشتوي أو الصيفي. فليس ذلك مما لم يجعله الله في مقدرو عامة الخلق بل هو في مقدور بعضهم وإذا كان شائعاً في بعض الحيوانات فقد يعرف سر ذلك إنسان أو جني ويعين بشرا عليه فما حدث ليس إلا تسخيراً لقانون معلوم غير مجهول .

وأما ما حدث لأصحاب الكهف فخارق لهم على جهة الكرامة، ووجه خارقيته طول مدة لبثهم في الكهف، ولا يعقل أن يحتفظ كائن حي بطاقة يستمد منها حياته، وتكفي طيلة هذه الفترة أبداً.

بعكس حالة الفقير الهندي هنا فمدة دفنه كانت أقل بكثير من المدة التي تقضيها بعض الحيوانات فيما يسمي بالبيات أو الكمون الصيفي أو الشتوي وهي مدة على أية حال يمكن للجسم فيها أن يحيا على مخزون طاقته

وإحياء عيسى عليه السلام للموتى معجزة خارقة. ولا تقاس بما فعله الهندي أو غيره ابداً .

وأنا أعجب من قول محمد رشيد رضا إن ما حدث للفقير الهندي أعجب من روايات الإنجيل لموت لعازر ثم حياته بدعاء المسيح بعد أربعة أيام، وأنه أغرب من حادثة أصحاب الكهف. وأرى أن العجيب والغريب هو هذا القول من محمد رشيد رضا .

فالقرآن الكريم ينص صراحة على أن ما فعله عيسى عليه السلام كان إحياء للموتى على سبيل المعجزة الدالة على صدقه، والتى يستحيل أن يشاركه فيها أحد بكسبه إلا ما يكون من بعض الأولياء الذين قد يمن الله عليهم بذلك يقول تعالى على لسان عيسى عليه السلام[1] ﴿وأحي الموتى بإذن الله﴾ .

ونصوص الإنجيل كذلك ترفض ذلك التأويل الذي يحاوله بعض الدارسين .

ففي إنجيل متى: «وفيما هو يكلمهم بهذا إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا إن ابنتي الآن ماتت، لكن تعالى وضع يدك عليها فتحيى. فقام يسوع وتبعه هو

---

(١) آل عمران : ٤٩ .

وتلاميذه . . ولما جاء يسوع إلى بيت الرئيس ونظر المزمرين والجمع يضجون، قال لهم تنحوا فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة فضحكوا عليه، فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها فقامت الصبية»[1] .

فعلى فرض صحة السند، يرى منكروا المعجزات أن الصبية لم تكن قد ماتت بالفعل .

يقول محمد رشيد رضا:[2] «وللمؤمنين بالآيات أن يجزموا أيضاً بأن الصبية لم تكن ميتة أخذا بظاهر قوله عليه السلام «لم تمت ولكنها نائمة» يعني أنها أغمي عليها فظنوا أنها ماتت وهي لم تمت» .

وأرى أن محمد رشيد رضا ومن نحا نحوه قد جانبوا الصواب في ذلك، لأن المسيح عليه السلام عندما جاء إلى البيت قال للجمع «تنحوا فإن الصبية لم تمت أي أنه حكم عليها بأنها لم تمت قبل أن يتنح الجمع، وقبل أن يرى الصبية رؤية فحص .

وإنما كان قوله عليه السلام عن الصبية (لم تمت لكنها نائمة) هو مثل قوله عليه السلام عن لعازر «لعازر حبيبنا قد نام لكني أذهب لأوقظه، فقال تلاميذه ياسيد إن كان قد نام فهو يشفى، وكان يسوع يقول عن موته، وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات»[3] .

وفي إنجيل لوقا «وفي اليوم التالي ذهب إلى مدينة تدعى نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه، وجمع كثير . فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه، وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون. فقال أيها الشاب لك أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه»[4] .

وعلى فرض صحة السند فيرى منكروا المعجزات أن هذا الشاب لم يكن ميتا موتا حقيقياً، فلعله كان مغشيا عليه فقط .

---

(١) إنجيل متى ، الأصحاح التاسع آية ١٨ : ٢٥ .

(٢) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدية ص ٣٣ .

(٣) يوحنا الأصحاح الحادى عشر ـ آية ١١ : ١٤ .

(٤) لوقا : الأصحاح السابع آية ١١ : ١٦ .

وأرى الصواب جانبهم في ذلك لأن النص يدل دلالة قطعية على إحياء عيسى عليه السلام للموتى ـ بإذن الله ـ إحياء حقيقياً .

ففي العبارة(فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول) نجد (إذا) الفجائية. وفي العبارة (فلما رآها الرب تحنن عليها) نجد أن عيسى عليه السلام رأى المرأة، ولم ير الميت رؤية فحص ثم نجده عليه السلام يبادر بقوله لها (لا تبكي) ثم يتقدم فيلمس النعش، ويقول للشاب(لك أقول قم) فيقوم .

وإذا كان الأمر كما يراه منكروا المعجزات لكان على عيسى عليه السلام التريث، وفحص الميت أولاً كي يراه هل مات فعلا أم لا قبل التسرع وادعاء المقدرة على إحيائه .

وفي إنجيل يوحنا، وفي قصة إحياء المسيح عليه السلام للعَازَر: «فقالت مَرْثا ليسوع ياسيد لو كنت ها هنا لم يمت أخي. لكني الآن أيضا أعلَم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه. فقال لها يسوع سيقوم أخوك. . . وجاء إلى القبر وكان مغارة وقد وضع عليها حجر. قال يسوع ارفعوا الحجر قالت له مرثا أخت الميت ياسيد قد أنتن لأن له أربعة أيام. قال لها يسوع ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوع. ورفع يسوع عينيه إلى فوق. وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم لعَازر هلم خارجا، فخرج الميت، ويداه مربوطتات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب»[1] .

ففي هذا النص نجد المسيح عليه السلام يقول لمرثا:

سيقوم أخوك. ثم يطلب رفع الحجر عن المغارة، وينادي أن هلم خارجا كل ذلك دون أن يفحصه ليعرف حقيقة موته وذلك بعد أربعة أيام من موته .

فكل هذه النصوص السابقة تؤكد على أن ما فعله المسيح عليه السلام كان إحياء حقيقيا للموتى على سبيل المعجزة التي ينفرد الله بالقدرة عليها ـ أي مما لم

---

(١) يوحنا : الأصحاح الحادى عشر آية ٢١ :٤٤ .

يجعله الله فى مقدور عامة الخلق للدلالة على صدقه.

وفي النص السابق يقول المسيح في دعائه الله لإحياء لعازر(لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى) .

وإذا كان ذلك كذلك فكيف يكون ما فعله الفقير الهندي أعجب مما فعله المسيح عليه السلام أي أعجب من المعجزة وقد بان الفرق بين فعل هذا وفعل هذا!! .

وإن صح ما يذكره الأطباء اليوم من أنه يمكن معالجة توقف القلب أوالعقل في خلال دقائق أو ساعات قليلة [1].

فمعلوم من روايات الإنجيل عن إحياء عيسى ـ عليه السلام ـ للموتى أنها كانت بعد فترات طويلة وصلت في حالة لعازر إلى أربعة أيام .

ونضيف هنا أنه قد يكون ذلك الإحياء المزعوم بحيلة من الحيل فقد يكون من فعل الجن بأن يحركوا جسم ميت، ويتكلموا على لسانه، ولا يكون ذلك إلا بضع دقائق فقط .

والقدرة على تحريك جسد الميت لا إحيائه أمر معروف لدى السحرة باسم زومبى Zombi or Zombie ولم يختص بفعله المؤيدون بل اختص بفعله بعض السحرة .

أما إحياء الأنبياء للموتى فهو إحياء حقيقي يعود بعده الميت إلى حياته الطبيعية بلا أدنى اختلاف .

ويظهر ذلك بوضوح فيما يرويه محمد رشيد رضا عن جريدة المقطم[2] عن كتاب لطبيب اسمه الكسندر بعنوان(العالم غير المنظور)يقول فيه: «وكان اللاما الكبير على عرشه فدخل عليه جوق من الرهبان يحملون المشاعل فجلسوا في حلقة واسعة يتمتمون أغنية، فصلى اللاما، وفي تلك الدقيقة دخل ثمانية يحملون تابوتا من حجر، فأنزلوه، ورفعوا غطاءه فرأينا شخصا منظره منظر الميت، فسمح لي بفحصه. فلم أشعر بنبضه ولا بخفقان قلبه، وكان بارداً كالحجر، وعيناه عينا رجل

(١) انظر Hutchison 's Clinical Methods .p.304 .

(٢) جريدة المقطم عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٣٣ .

انقضى عليه يوم كامل،وهو ميت،ووضعت مرآة على فمه وأنفه فلم يظهر عليها أثر تنفسه ثم لفظ اللاما كلمات فرأينا الميت يفتح عينيه،ثم جلس في تابوته،فساعده الرهبان على الوقوف،والمشي،فدنا من اللاما وانحنى وعاد إلى نعشه وهو لا يزحزح بصره عن (أعظم الحكماء)ثم لم تمضي دقائق قليلة حتى عاد ولا حياة فيه»[1] .

هـ - حقيقة قدرة السحر على إماتة الحي :

إذا كنا قد قلنا إن إحياء الموتى معجزة لا تكون إلا بتأييد إلهي،لأنه لو قدر عليها غير المؤيدين لدفعوا الموت عن أنفسهم وذويهم،ومن يبذل لهم المال حتى ينتشر ذلك،ويعلم في كل مكان ويفسد نظام العالم،ولكنا نجد أن نظام العالم لم يفسد بذلك ولم نعلم أن شخصا دفع عن نفسه الموت أبداً. فعلم بطلان ذلك.

فإن إماتة الحي غير إحياء الميت،فليست هي مما لم يجعله الله تعالى تحت قدر عامة الخلق بل هي في المقدور،ومن ثم فهي ليست من دلائل لنبوة في شيء.

وما يرويه الإنجيل من قول المسيح عليه السلام لشجرة التين«لا يأكل أحد منك ثمرا بعد إلى الأبد»[2] فيبست الطينة،فذلك لم يروه القرآن،ولم يذكر أنه من معجزاته عليه السلام،وبفرض صحة السند فيمكن ألا يكون ذلك معجزا .

ولم يقل أحد إن كل ما يفعله النبي يكون معجزة،إلا ما كان معجزاً حقا سواء تحدى به الرسول أو لم يتحد،فكما يأكل الرسول ويشرب وهو رسول،وليس ذلك بمعجز فقد يأمر التينة بأن تموت فتموت،وليس ذلك بمعجز طالما أن الرسول لم يدعه معجزة،وطالما أنه ليس معجزا على الحقيقة .

وبالتالي يبطل كلام الطاعنين في المعجزات على أساس أن(إماتة التينة) معجزة وأن للروحانيين القدرة على مثل ذلك[3] ولا يمارى في قدرتهم على مثل

---

(١) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي هامش ص ٣٥ .

(٢) مرقس ـ الأصحاح الحادي عشر آية ١٤ .

(٣) انظر محمد رشيد رضا:الوحي المحمدي هامش ص ٣٤:٣٥.
حيث يقرر أن للروحانيين القدرة على مثل ذلك ويروى في ذلك قصة أمات فيها أحد الروحانيين شجرة تين أيضاً .

ذلك، وما يفعلونه هدم وما أسهل الهدم .

ولا يقال هنا لو كان للسحرة القدرة على الهـدم والإماتة لدفعوا عن أنفسهم أذى فرعون، ولقتلوه مثلا .

لأنا نقول: قد يكون لذلك شروط كثيرة لم تتوافر للسحرة حينئذ .

وربما منعهم إيمانهم عن ذلك، وربما كـان لفرعون سحرة آخـرين يحمونه من مثل ذلك الأذى . . . الخ

والإسلام صرح بأن للسحر حقيقة وقدرة على التأثير في عالم العناصر، وأن الحسد حقيـقة وله كذلك قدرة على التأثير في عالم العناصـر بالهدم. قال تعالى[1] ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ وقال ـ ﷺ ـ (العين حق)[2] والحسد نوع من السحر.

إلا أنه يمكن أن يكون هناك فرق بين إماتة التينة بالنسبـة للمسيح عليه السلام وإماتتـها بالنسبة لغـيره، ويكون ذلك معجـزا له عليه السلام وإن لم يشتـهر ذلك الفرق، فدلالة المعجزة نسبية[3] وليس من المطلوب من كل إنسان أن يدرك الإعـجاز في كل المعجزات .

وهذا الاحتـمال الأخير أراه أفـضل وأقرب إلى منطق العقل فـعدم العلم لا يعني العلم بالعدم .

وهناك احتمال آخر أراه صحيحا أيضا يخرجنا من هذا الإشكال كله وهو ما ذهب إليه بعض الدارسين من أن المسيح عليه السلام هنا استخدم كلمة ذات معنيين للتورية، فكلمة «تين» تنطق بالآرامية «سوكو SUKO » وباليونانية «سيكا أو سيكه SIKA أو SIKAH» فالمعنى القريب لهذه الكلمة هو تين ولكن المعنى البعيد هو سكين أو خنجر أو حامل الخنجر وحملة الخناجر أو الغيورون طائفة يهودية متطرفة كانت في عصره عليه السلام.

---

(١) الفلق : ٥ . (٢) رواه البخارى فى صحيحه فى الباب(٣٦) من كتاب الطب والباب(٨٦) من كتاب اللباس، ومسلم برقم(٤١، ٤٢) من كتاب السلام وأبو داود فى سننه فى باب(١٥) من كتاب الطب، ومالك فى الموطأ برقم(١) من كتاب العين، وأحمد فى المسند جـ١ ص٢٧٤، ٢٩٤، جـ٢ ص٢٢٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٤٢٠، ٤٣٩، ٤٨٧. جـ٤ ص٦٧، جـ٥ ص٧٠، ٣٧٩.

(٣) كما سيأتي بيانه في الفصل الخامس من البَاب الرابع .

فكلامه عليه السلام هنا موجه إلى هذه الطائفة وليس لشجرة التين ومما يؤكد ذلك عبارة مرقس: «لأنه لم يكن وقت التين»[1]. ومعلوم أن المسيح ليس بالشخص المتجبر أو الغير عالم بمواعيد الثمار حتى يطلب تينا من شجرة تين في الوقت الذى لا يثمر فيه التين، وما ذنب التينة طالما لم يكن وقت ثمرها حتى يلعنها المسيح، وكل ما في الأمر أن المسيح أراد أن ينذر جماعة الغيورين بقرب نهايتهم إن لم يسمعوا ويقبلوا دعوته لهم للتوبة[2].

و- حقيقة قدرة السحر على شفاء المرضى:

وذلك أمر ممكن لا يخالف شرعا أو عقلا بل يؤيده الواقع المشاهد والمتواتر[3] يقول ابن تيمية[4] «جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر، بل وعن مقدور جنس الحيوان، وأما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان، فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره من الحيوان والجن مثل قتل الساحر، وتمريضه لغيره، فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر».

وتؤكد على ذلك جريدة الأهرام المصرية حين تنشر خبراً عن أول عملية جراحية من نوعها في العالم تتم عن طريق استخدام السحر إذ كانت المفاجأة المذهلة التي افتتح بها مهرجان السحر الأول الذي أقيم في فرنسا هى العملية الجراحية التي قام بها الساحر الشهير(رانكلى)في بطن فتاة كانت تشكو من وجود ورم في بطنها وقد استخرج الساحر الورم دون استخدام البنج أو الأدوات الجراحية فتح الساحر بطن الفتاة بعد أن مرر فوقها أصابعه، ثم تولت مساعدته استئصال

---

(١) انظر مرقس: ١٣/١١

(٢) انظر القمص بولس عطيه بسليوس: الطوائف المسيحية فى التاريخ والعقيدة واللاهوت المقارن جـ١ ص٦٧ ،٦٨ .

(٣) انظر الشبلى: غرائب وعجائب الجن ص١٠٨: ١١٢ . وانظر السيوطى: لقط المرجان فى أحكام الجان ص١٣١.

(٤) ابن تيمية: النبوات ص ٦٥ .

الورم عن طريق ملقاط من الخشب، ثم أعاد الساحر إغلاق مكان الجرح[1].

وتنشر الأهرام خبرا عن شخص متهم بالدجل والشعوذة قال دفاعا عن نفسه في المحكمة إن معه واحدة من الجن تهمس بمرض من يضع يده على المصحف بعد أن يذكر اسمه واسم والدته، بل تملي عليه الدواء الذي يكتبه في روشتة نظير مبلغ (٢٥) قرشا يدفعها الراغب في هذا .

وقد أجريت في المحكمة تجربة على خمسة أشخاص اختارهم القاضي، وكان التشخيص جميعه سليما مائة في المائة مما جعل القاضي يحكم له بالبراءة بجلسة ٢٢/ ٤/ ١٩٨٠ [2] .

بل إن هناك هيئات علمية معترف بها للعلاج الروحي مثل الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين بانجلترا علاوة على أكثر من ألف وخمسمائة مستشفى بين حكومي وغير حكومي تصرح بمزاولة العلاج الروحي بها في انجلترا وحدها[3] .

ومعنى ذلك أن السحر قد يكون له القدرة على الشفاء ولعل ذلك عن طريق مساعدة أطباء الجان كما يعترف بذلك كثيرون من هؤلاء المعالجين: «كعبد العزيز أبو كف» الذي اعترف أن معه جنية تدعى «الحاجة» تساعده في ذلك كما ذكرت جريدة الأهرام[4] .

إلا أنه يجب أن نلاحظ أن شفاء الأنبياء للأمراض إن لم يكن معجزا من حيث نوع المرض فهو معجز من حيث أسلوب العلاج .

وما روى عن عيسى عليه السلام هو إبراء للأكمه والأبرص وإحياء للموتى فقط لاشفاء الأمراض عموما .

ويمكن أن نقول إن البرص الذي كان يبرئه عيسى عليه السلام كان من ذلك

---

(١) انظر جريدة الأهرام المصرية عدد ١١ / ١٢ / ١٩٧٩م .

(٢) انظر جريدة الأهرام المصرية عدد ٢٤ / ٤ / ١٩٨٠ م .

(٣) انظر هانن سوافر: قصتي العظمى ص ٤١٤، ١١١: ١١٧، ٣٥٩: ٣٦٣ وانظر كذلك أنيس منصور: القوى الخفية ص ٢١٦: ٢١٧ .

(٤) انظر جريدة الأهرام المصرية عدد ٢٣ / ٤ / ١٩٨٠ م .

النوع الذي هو موت لخلايا الجسم أو هو انعدام لوجود الخلية منذ الولادة[1] أو على أية حال من نوع لا يمكن للبشر ولا للجن علاجه أبداً فهو خارج عن قدرتهم

والأكمه الذي كان يبرئه عيسى عليه السلام هو الممسوح العين أخرج ابن أبي حاتم من طريق عطاء عنه أنه ممسوح العين الذي لم يشق بصره ولم يخلق له حدقة لا الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل[2] مما يجعل المعجزة تشتبه بغيرها [3] .

ثم إن المعجزة ليست هي أي فعل يصدر من رسول. وإنما هي ما كان معجزا سواء تحدى به أم لم يتحد وبالطبع فالرسول إن تحدى لا يتحدى إلا بما هو معجز.

وإذا كان ذلك كذلك فقد يصدر من الرسول أفعال بإذن الله لمجرد إعانته في أمر من أمور الرسالة أو الحياة لا للدلالة على صدقه فلا تكون خارقة على الحقيقة[4] .

فليس شفاء أي مرض معجز إلا ما توافرت فيه شروط المعجزة وإن حدث على يد النبي لأن ذلك ليس هو الشرط الوحيد، فالنبي يأكل ويشرب، وليس ذلك بالمعجز لأنه أمر معتاد وغير خارق للعادة .

والقرآن لم يذكر أن عيسى عليه السلام كان يشفي المرضى على سبيل المعجزة ولكن ما كان على سبيل المعجزة فهو خلق الطير من طين وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى .

---

(١) انظر في أنواع البرص Roxburg : Common Skin Disease p 342
T.B. Sneddon and R.E Church:Practical Dermatology.p.173.

(٢) انظر الألوسى:روح المعانى جـ٣ ص١٦٩ . (٣) فكأن إبراء الأكمه من جنس خلق الطير من الطين لأن الأكمه لم تخلق له حدقة وكأن إبراء الأبرص إما من جنس إحياء الموتى لأن البرص الذى كان شفاؤه معجزة له عليه السلام هو موت لبعض خلايا الجسم وإما من جنس خلق الطير من الطين باعتبار أن ذلك البرص من النوع الذى تكون فيه الخلية غير موجودة أصلا، ولذلك كان من المناسب أن يجئ إبراء الأكمه فى القرآن بجوار خلق الطير من الطين بإذن الله وإبراء الأبرص بجوار إحياء الموتى بإذن الله يقول تعالى:﴿ورسولا إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله﴾آل عمران(٤٩)ويقول تعالى﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى وإذ تخرج الموتى بإذنى﴾المائدة (١١٠) .

(٤) انظر مبحث نسبيه الدلالة في الفصل الخامس من الباب الرابع.

وعيسى عليه السلام قد يكون فعلا كان يشفي من جميع الأمراض ولكن قد لا يكون ذلك على سبيل المعجزة ولكن بالدعاء إلى الله تعالى واستجابة الدعاء في هذه الحالة غير مقتصرة على الأنبياء لقوله تعالى﴿ادعوني استجب لكم﴾[1] واستجابة الدعاء هي من المعونه لا من المعجزة[2] .

ويرى سيد قطب أن الإعجاز في الإبراء أنه كان لابدواء[3] بل بمجرد مسح الرسول بيده على المريض،وهو فارق صحيح لمن أدرك الفرق بين ما يكون بدواء بين ما لا يكون فقد يلتبس الأمر ويختلط وخاصة في عصرنا هذا عصر العلم والعلاج الكهربي والإشعاعي[4] .

وليس في ذلك إشكال طالما أن دلالة المعجزة نسبية وما لايدرك إعجازه قوم يدركه غيرهم .

ويرى محمد رشيد رضا أن الفرق بين شفاء عيسى وشفاء الروحانيين«أن روحانيته عليه السلام أقوى وأكمل وأقدس وأفضل وأنها لم تكن بعمل كسبي منه، بل من أصل خلق الله عز وجل إياه بآية منه»[5] .

لكن هذا يؤدي إلى أن يكون الفرق غير واضح لعدم وضوح حدود الفرق بين الروحانيتين حتى يمكننا التفريق بين النبي وغيره .

وأرى أن روحانيته عليه السلام لا تختلف عن روحانية غيره في مجرد الدرجة فقط،ولكن تختلف أولا وقبل كل شيء في طبيعة هذه الروحانية(ما عدا الأولياء فالاختلاف قد يكون في الدرجة لا في الطبيعة)[6] وإلا ففي ذلك تصدق لفرعون في قوله﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾[7].

---

(١) غافر : ٦٠ . (٢) انظر حديثنا عن المعونة في الفصل الثالث من الباب الثاني .

(٣) انظر سيد قطب:في ظلال القرآن جـ٢ص٩٩٧.

(٤) انظر صحيفة أخبار الحوادث عدد١٩٩٤/٦/٩حيث تتحدث عن ظهور فتاة فى الترويج عمرها خمس سنوات ظهرت لمرة واحدة فى إحدى المستشفيات وكانت تشفى المرضى بلمسهم أو احتضانهم سواء كان المريض أعمى أو أصم أو كسيح أو غير ذلك .

(٥) محمد رشيد رضا : الوحى المحمدى ص ١٤٦.

(٦) انظر نسبية الدلالة في الفصل الخامس من الباب الرابع .

(٧) طه : ٧١ .

فروحانية النبي لا تخضع للسنن المعتادة، أما روحانية غيره فهي خاضعة لسنته تعالى المعتادة .

وأما قوله إن روحانيته ـ عليه السلام ـ لم تكن بعمل كسبي منه فنحن نسلم بذلك ولا نعتبره فارقا بين النبي وغيره [1] .

ز ـ حقيقة قدرة السحر على التخييل وإراءة ما لا وجود له الشعبذة :

يعترض ابن حزم على ذلك النوع من السحر بقوله: «وأما من ادعى أنه يشبه الساحر على العيون، فيريهم ما لا ترى فإن هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بإبطال النبوات إذ لعل ما أتى به النبي كان تشبيها على العيون لا حقيقة له ـ حتى رامت إبطال الحقائق كلها أولها عن آخرها، ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحا بلا تكلف .

وقد عاب الله عز وجل من ذهب إلى هذا فقال: [2] ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ [3] .

ويعارض ابن حزم في ذلك كثير من العلماء ويرون أن للشعوذة حقيقة ووجودا، وذلك أن قدرة الساحر على إراءة ما لا وجود له لا تقدح في البدهيات والحقائق كما يزعم ابن حزم لأنها بفرض صحتها قد تكون محدودة التأثير .

ـ إما بالمكان فلا يتجاوز تأثير الساحر مكانه إلى غيره من الأمكنة .

ـ أو بالزمان فلا يستمر ذلك التأثير إلا بضع دقائق أو ساعات .

ـ أو بالأشخاص: فلا يقبل هذا النوع من التأثير إلا نوعية معينة من البشر بصفات خاصة، ومن ثم فلا يشتبه ذلك بالمعجزة ولا يبطل الحقائق كلها كما يدعي ابن حزم .

ويؤكد ذلك ما يروى من أنه عندما «انشق القمر على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) انظر اشتراط ألا تكون المعجزة من الصناعات المكتسبة في الفصل الثاني من الباب الأول .

(٢) الحجر: ١٤: ١٥ .

(٣) ابن حزم: الفصل جـ ٥ ص ٦ .

فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل، وفرقة على هذا الجبل، فقالوا سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فإنه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم» [1] انظروا ما يأتيكم به السفار فجاء السفار بمثل ذلك.

فهم قد استدلوا على أن ما رأوه ليس تخييلا بل هو حقيقة لأنه رؤي في كل الأمكنه، ومن كل الناس، وهو لا يسعه أن يسحر الناس جميعاً .

ويؤكد ابن سينا على أن هذا النوع من السحر إنما يؤثر في نوعية معينة من الناس لا فيهم جميعاً. حيث يقول: إن« للنفوس البشرية القوية في قوتي التخيل والوهم[تأثيراً] في نفوس بشرية أخرى ضعيفة في هاتين القوتين كنفوس البله والصبيان، والذين لم تستول قوتهم العقلية على قمع قوة التخيل وترك عادة الانقياد فتخيل إليها وتوهمها[في أشياء غير موجودة]أنها موجودة في الخارج أو تخيل إليها وتوهمها في أمور موجودة حاصلة على ضد تلك الأحوال، فيخيل إليها في أشياء متحركة أنها ساكنة وفي أشياء ساكنة أنها متحركة إلى غير ذلك من أحوال بديعة»[2]

وقد يشهد لكلام ابن سينا من أن تأثير هذا النوع من السحر لا يقبله إلا من تتوافر فيهم صفات معينة وليس عاما - ما نسميه اليوم بالتنويم المغناطيسي فلا يخضع لتأثيره إلا من تتوافر فيهم صفات روحية معينه [3] .

وإذا كان ابن حزم يعترف بوجود الحيل والخدع وليس في استطاعة أحد إنكارها، بل إنه يرى أنها - كما ورد في القرآن في قوله تعالى﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾[4] - كانت حيل عظيمة حتى أنه كان تقدير من لا يدري حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين، وذلك لانهم رأوا صفات حيات طوال تضطرب فسارعوا إلى الظن وقدروا أنها ذات حيات، ولو انعموا النظر وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وأنها ملئت زئبقا ولد فيها تلك الحركات[5] .

---

(١) رواه البخارى:في صحيحه في الباب(٢٧) من كتاب المناقب والباب(٣٦) من كتاب مناقب الأنصار والباب(١) من تفسير سورة القمر ومسلم في صحيحه في الباب(٤٣، ٤٧، ٤٨) من كتاب المنافقين وأحمد في المسند جـ١ ص٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧ جـ٣ ص ٢٧٥، ٢٧٨ جـ٤ ص٨٢ .

(٢) ابن سينا: رسالة في الفعل والانفعال ص ٦ .

(٣) انظر رءوف عبيد:الإنسان روح لا جسد جـ١ ص٢١١: ٢٧٠.

(٤) الأعراف : ١١٦ .

(٥) انظر ابن حزم:الفصل جـ٥ ص١٠٣: ١٠٤.

فلا فرق بين الحيل العظيمة، والخدع وبين التشبيه على العيون فلا معنى لإنكار ابن حزم للتشبيه على العيون وإقراره الحيل والخدع لأن النتيجة واحدة وهي احتمال اللبس، والخلط بين المعجزة وبين السحر، فما رآه الناس من سحرة موسى هو صفات حيات أو هكذا بدا لهم .

وبالطبع فإنه لو كان في استطاعة السحرة قلب الأعيان لما قالوا لفرعون ﴿أن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين﴾[1] بل لكانوا قلبوا الحجارة نقودا ولأصبحوا أغنى الناس ولقلبوا فرعون عصا أو غيرها قبل أن يقتلهم .

واما التفرقة بين المعجزة والسحر سواء كان حيلا أو تشبيها على العيون فلا يعرفه إلا الخواص أي السحرة فإيمانهم مؤسس على معرفة لحقيقة الفارق .

بينما إيمان العوام فمؤسس على الانبهار بما حدث أو اتخاذ السحرة قدوة لهم أو على الجهل بوجود اللبس بين المعجزة وغيرها، هذا بالإضافة إلى أن الفارق الأوضح بالنسبة للجميع هو حال الداعية وقيمة الدعوة.

ح - حقيقة قدرة السحر على الجذب والتنفير:

فأما عن تأثير السحر على الإنسان بذلك فنجدة في قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾[2] .

كما نجده فيما تواتر بين الناس من أخبار عن ذلك .

---

(١) الأعراف : ١١٣ . (٢) البقرة : ١٠٢ . والقائلون بالسحر اختلفوا فى القدر الذى يقع به فقال بعضهم لا يزيد تأثيره على قدر التفرقة بين المرء وزوجه لأنه لو وقع به أعظم من ذلك لذكره الله تعالى لأن المثل لا يضرب عند المبالغة إلا بأعلى الأحوال ومذهب الأشاعرة أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك وهو الصحيح عقلا ولا يوجد شرع قاطع يوجب الاقتصار على ما قاله القائل الأول وذكر التفرقة بين الزوجين فى الآية ليس بنص فى منع الزيادة . انظر الألوسى روح المعانى جـ ٣٠ ص ٢٨٤ . ولعل ذكر هذه الصورة [لأنها أشيع الصور التى يستخدم فيها السحر أو للتنبيه]... على سائر الصور فإن استكانة المرء إلى زوجته وركونه إليها معروف زائد على كل مودة فنبه الله تعالى بذكر ذلك على أن السحر إذا أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى . الرازى التفسير الكبير جـ٣ص٢٢١ .

ويؤكد ذلك ما ورد فى القرآن والسنة وأخبار الصحابة وتابعيهم بل وعامة الأمم فى جميع الأمصار والأزمان من ذكر للسحر وآثاره غير التفرقة بين الزوجين .

فليس للسحر القدرة على مجرد التفرقة بين الزوجين بل له آثار أخرى كثيرة .

وأما عن قدرته في التأثير على الحيوان بذلك فنجده فيما«يروى عن ابن خلدون أنه قال: هناك بعض الناس لا يقربهم الذباب ويقال: إن بعض الناس عنده هذه المقدرة الشخصية على طرد الحشرات عنه . . دون أن يبذل مجهوداً في ذلك.

وقال ابن خلدون أيضا: وكنت في طفولتي أحب الكلاب وأنفق عليها طعامي ومالي. . وكنت إذا ذهبت إلى أحد البيوت فإن الكلاب تترك كل من في البيت ثم ترقد عند قدمي، ويتعجب الناس كيف تشعر هذه الكلاب بأنني أحبها؟ وكيف ينتقل شعوري إليها؟» [1] .

ويؤكد ابن حزم على هذا التأثير للسحر بقوله: «ومنه طلسمات كتنفير بعض الحيوان عن مكان ما فلا يقربه أصلا» [2] .

وفي التوراة: «قال الرب لموسى قل لهارون مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام، واصعد الضفادع على أرض مصر فمد هارون يده على مياه مصر، فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم، وأصعدوا الضفادع على أرض مصر »[3] .

وبفرض صحة قدرة السحر على جذب الحيوان وتنفيره فليس معنى ذلك معارضة معجزة موسى عليه السلام التي يقصها القرآن في قوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع﴾[4] فهذا غير هذا لأن ما يمكن أن يكون في استطاعة البشر هو التسلط على بعض الحيوانات وتسليطها، أما ما فعله موسى عليه السلام فليس حصارا لشخص أو مجموعة من الأشخاص وبعدد محدود من الضفادع يمكن تسليطه .

ولكن ما حدث مع موسى عليه السلام هو أن الضفادع ملئت كل أرض مصر، فمن أين يأتي مثل هذا العدد الضخم الذي غطى كل أرض مصر فى سرعة هائلة . والذي وصل من ضخامة حجمه أنه جعل الأرض تنتن عندما مات كما يروي الكتاب المقدس«فماتت الضفادع من البيوت والدور والحقول وجمعوها كوما كثيرة حتى أنتنت الأرض»[5] .

---

(١) أنيس منصور :القوى الخفية ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . (٢) ابن حزم : الفصل جـ ١ ص ١٤٥ .
(٣) سفر الخروج : الأصحاح الثامن (٥:٧) . (٤) الأعراف : ١٣٣ .
(٥) سفر الخروج : الأصحاح الثامن (١٣ : ١٤).

إن ما حدث لموسى عليه السلام أراه خلقا للضفادع من عدم وهو معجز

وتشير التواره في نفس السفر والأصحاح إلى أن ما فعله موسى عليه السلام ليس من جنس أفعال السحرة. ففيها: «ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب الأرض ليصير بعوضا في جميع أرض مصر، ففعلا كذلك مد هارون يده بعصاه، وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم كل تراب الأرض صار بعوضا في جميع أرض مصر وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا وكان البعوض على الناس وعلى البهائم فقال العرافون لفرعون هذا أصبع الله»[1].

والمعجز هنا هو قلب التراب بعوضا، وهو مما لم يجعله الله في مقدور عامة الخلائق والغريب أن تعترف التوراة بالمعجزة هنا في حالة البعوض ولا تعترف بها في حالة الضفادع.

وكذب كاتب التوراة في قوله إن العرافين فعلوا مثلما فعل موسى عليه السلام بأن أصعدوا الضفادع على أرض مصر مثله لأنه يمكن أن يكون في مقدرتهم إصعادها لكن ليس مثله لأنه أتى بها من عدم - على الراجح - كما قلنا.

ولأنهم إذا كانوا يقدرون على ذلك فلماذا لم يستطيعوا إعادتها إلى النهر عندما سلطها عليهم موسى عليه السلام؟.

وقد حاول سعديا الفيومي تبرير ذلك المأزق فقال: فإن سأل سائل: كيف قابل السحرة موسى في آياته. قلنا إن الآيات التي صنعها عشر؛ قلب العصا والتسع الأخر، ولم تذكر التوراة أنهم قابلوه إلا في ثلاث[2].

وبالطبع فإن هذا تبرير باطل لأن معارضة معجزة واحدة يعني كذب الرسول في ادعائه أن هذا الخارق معجز لأن المعجزة لا تعارض، والكذب أبعد الصفات عن النبوة.

ط - حقيقة قدرة السحر على نقل الأشياء:

«واختلفوا: هل يطيق الشيطان على حمل ما لا يطيق البشر حمله؟.

---

(١) السابق الفقرات (١٦ : ١٩).

(٢) انظر سعديا الفيومي: الأمانات والاعتقادات ص ١٢٤.

١ ـ فقال قائلون: جائز ذلك ، وأن يحمل الأشياء الكثيرة

٢ ـ وأنكر ذلك منكرون وقالوا: في هذا بطلان دلائل الرسل وهذا قول «الجبائي»[١] .

ويؤكد صحة الرأي الأول: قوله تعالى على لسان عفريت من الجن لسليمان عليه السلام. بشأن نقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾[٢] ومقامه عليه السلام «أي مجلسه ولابد فيه من عادة معلومة حتى يصح أن يؤقت[به] فقيل المراد مجلس الحكم بين الناس ، وقيل الوقت الذي يخطب فيه الناس، وقيل انتصاف النهار»[٣] .

ومعنى ذلك أن للجن سرعة لا نطيقها، وقدرة على حمل ما لا نطيق حمله ويؤكد د. رءوف عبيد على مسألة إمكان انتقال الأجسام المادية عبر الحوائط والسقوف والأجسام الصلبة، ويذكر أمثلة وتحقيقات كثيرة عن ذلك[٤] لا يعنينا هنا سردها لأنه حتى بفرض صحتها فلا يطعن ذلك في المعجزة .

ويقرب هذه المسألة إلى أفهامنا العلم الحديث عندما يقرر أن المادة يمكنها أن تتحول إلى طاقة غير مرئية تنفذ عبر الأجسام الصلبة ثم تعود مرة أخرى لحالتها الأولى .

ويشير د. رءوف عبيد إلى أنه «قد لوحظ في بعض المجلوبات الروحية أنها تجئ إلى غرف الجلسات ساخنة ثم تبرد تدريجيا»[٥] .

إلا أنه إذا كان «من الجن المؤمنين من يعاون المؤمنين[من البشر] ومن الجن الفساق والكفار من يعاون الفساق[من البشر] كما يعاون الإنس بعضهم بعضا»[٦] فإن ذلك ليس كتسخير سليمان عليه السلام للجن لا من حيث الكم ولا من حيث الكيف، يقول ابن تيمية[٧] «فأما طاعه مثل طاعة سليمان فهذا لم يكن لغير سليمان.

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ٢ص١٢٤ . (٢) النمل : ٣٩ .

(٣) الرازى : التفسير الكبير جـ٢٤ص١٩٧.

(٤) انظر رءوف عبيد: مفصل الإنسان روح لاجسد جـ١ص٩٦٧ :٩٨٦.

(٥) السابق جـ١ ص ١٧٤ .

(٦) ابن تيمية: ص١١٦ . (٧) السابق ص ١١٦ .

حتى أنهم لبثوا في العذاب الذي وصفه الله تعالى بأنه مهين لما مات، ولم يعلموا بموته، واستمروا في العمل المتواصل ﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾[1] .

وتسخير سليمان للجن بفرض التباسه مع تسخير الكهان لهم - ولا أراه ملتبسا، فهو جزء من معجزة كبرى هي تسخير الجن، والإنس والطير والريح. . الخ يقول تعالى[2] ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير﴾ ويقول[3] ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره﴾ .

وأما دعوى اللبس بين معجزة إسرائه - ﷺ - وبين قدرة الجن على فعل مثل ذلك فقد أفردنا لذلك ملحقا خاصا في نهاية الكتاب [4] .

ولكن إذا كان اختراع الجواهر من العدم إلى الوجود ممتنع غير ممكن البتة لأحد دون الله تعالى مبتدئ العالم ومخترعه، فمن ظهر عليه اختراع جسم كالماء النابع من أصابع رسول الله(ﷺ) بحضرة الجيش، فهي معجزة شاهدة من الله تعالى له بصحة نبوته.

فهل يمكن للجن إحضار شيء فيظن أنه خلق من العدم؟

يقول ابن تيمية مفرقا بين فعل الجن والمعجزة هنا :

«وكذلك إحضار ما يحضر من طعام أو نفقة أوثياب أو غير ذلك من الغيب، وهذا إنما هو نقل مال من مكان إلى مكان، وهذا تفعله الإنس والجن ولكن الجن تفعله والناس لا يبصرون ذلك وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيراً بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يزادها، فهذا لا يقدر عليه إنسي ولا جني» [5] .

«وكذلك الطعام القليل يصير كثيراً، وهذا لا يقدر عليه لا الجن ولا الإنس، ولم يأت النبي - ﷺ - قط بطعام من الغيب ولاشراب، وإنما كان هذا يحصل

---

(١) سبأ : ١٤ . (٢) النمل : ١٧ .

(٣) الأنبياء : ٨١ . (٤) انظر ملحق رقم (١) .

(٥) ابن تيمية : النبوات ص٥ :٧ .

لبعض أصحابه كما أتي خبيب بن عدي وهو أسير بمكة بقطف من عنب، وهذا الجنس ليس من خصائص الأنبياء ومريم عليها السلام لم تكن نبية، وكانت تؤتى بطعام»[1] .

ولكن السؤال الآن هو: ما الفرق بين خلق الماء في مكان العدم، وبين خلقه بجوار القليل ليصير كثيراً؟ وألا يمكن أن تنقل الجن الماء الكثير حيث يوجد القليل؟ أعتقد أن كلام ابن تيمية هنا يجعل فعل الجن أعم من فعل الرسول لأنها قد توجد الشيء في مكان العدم وفي مكان وجود القليل منه بعكس الرسول الذي لا يوجده إلا في مكان وجود القليل فقط وإلا فما الذي يمنع الجن من إيجاد الشيء بجوار القليل منه، طالما تستطيع إيجاده في مكان العدم ؟؟ .

هذا هو ما تراه عين الرائي، أما حقيقة كيفية وجود هذا، ووجود هذا، فهذا لا تراه عين معظم المخاطبين بالمعجزة، فالعين لا تفرق بين ما وجوده من عدم، وما وجدوه من إحضار الجن إياه، فنحن لا نرى الجن ولا نرى ما تحضره إلا وهو حاضر أمامنا، فهو يحضر بحيلة من حيل الجن لا تجعلنا نراه وهو يحضر .

فمعجزة الرسول في إيجاد الشيء لا تشترط أن يكون حيث يوجد القليل منه، وها هو عيسى بن مريم عليه السلام يأتي بمائدة من السماء لا في موضع وجود القليل منها وهذه المعجزة لا يعرف الفرق بينها وبين ما يكون بمعونة الجن إلا من يعرف أن الجن لم تأت بذلك .

كالجن أنفسهم وهم من أمة الدعوى، أو من جعل الله تعالى له علما بذلك من الإنس لسبب من الأسباب أو بدون أسباب .

وأما إيمان غير هؤلاء بمثل هذه المعجزة فمؤسس على الانبهار بالخارق أو الجهل بوجود اللبس بينه وبين غيره من أفعال الجن أو على اتخاذ أهل الاختصاص بذلك الذين أمنوا ـ قدوة لهم .

كما قد يكون مؤسسا على معرفة الفرق بالنظر إلى حال الداعي، وقيمة الدعوة .

---

(١) السابق ص١١٥ .

ولا يشترط في كل معجزة أن يفهمها كل الناس ويدرك وجه إعجازها بل يكفي بعضهم على ما سنبينه في مبحث نسبية الدلالة[1] .

ثم إن هذه المعجزة بالذات فكانت تأتي للرسول وأصحابه في ساعات العسرة كمعونة قبل أن تأتي كدليل على الصدق، وإن كانت دليلا على الصدق.

وإتيان عيسى عليه السلام قومه بالمائدة لم يكن ابتداء منه في غير ساعات العسرة، ولكن قومه هم الذين طالبوه بها، وألحوا في طلبها، وما داموا هم الطالبون لها، فمعنى ذلك أنهم يعتبرونها مقنعة بالنسبة لهم، دالة على الصدق لا تشتبه بغيرها، فأجابهم وحذرهم بالعذاب الذي لم يعذبه أحداً من العالمين لمن يكفر منهم بعد .

يقول تعالى[2] ﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى ابن مريم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وءاخرنا وءاية منك، وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ .

٥ - حقيقة قدرة السحر على إنطاق الجماد والحيوان :

قال الطاعنون في المعجزات: «إن الناس يجوزون دخول الجني في بدن المصروع. وأن يخبر عن الغيوب على لسان المصروع، فلما جوزوا ذلك، فلم لا يجوزون: أن الذئب لما تكلم مع الرسول عليه السلام، أو الجمل لما تكلم معه أو الذراع المسموم لما تكلم معه، فذلك الكلام إنما حصل لأجل أن الجني نفذ في بطن الذئب والجمل والذارع؟ومع قيام هذا الاحتمال: فكيف قطعوا بأنه معجز حصل بخلق الله تعالى ؟» [3] .

والجواب عن ذلك أن نقول :

إن هذه الخوارق السابقة معجزة وإن خفي على كثير منا وجه الإعجاز فيها،

---

(١) انظر الفصل الخامس من الباب الرابع .

(٢) المائدة :١١٢ ، ١١٥ . (٣) الرازي : النبوات ص ١١٠ .

لأن المعجزات منها ما هو كبير ومنها ما هو صغير، فهي نسبية، وكذلك فهمها نسبي يتفاوت من فرد لآخر، فقد يفهم فرد ما لا يفهمه الآخر، كل حسب عقله، وثقافته.. إلخ [1].

فهذا الخارق مثلا يفهمه الجن جيداً وهم من أمة الدعوة .

وقد يؤمن به إنسي . :

- إما لعلمه بالفارق لسبب من الأسباب .
- أو لجهله بقدرة الجن على ذلك لله .
- أو لاقتدائه بغيره من أهل العلم بالفارق .
- أو لثقته في صاحب الخارق لما رآه عليه من كمال حاله، وعلو دعوته .

* * * *

ومما سبق يتضح لنا حدود الفارق بين المعجزة والسحر بناء على شواهد العقل والواقع المؤيدة بالشرع لا كما يقول القاضي أبو بكر بن الطيب :

«إنما منعنا ذلك[أي عدم التفرقة بين السحر والمعجز] بالإجماع ولولاه أجزناه»[2] .

لأن التفرقة بين المعجز والسحر لا تؤخذ من الإجماع ولا من الشرع، ولكن تؤخذ من العقل المحض والواقع المشاهد واعتراف السحرة أنفسهم لأن الشرع وقتئذ لما يثبت بعد.

---

(١) انظر مبحث نسبية الدلالة في الفصل الخامس من الباب الرابع .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ ص ٤٣٧ .

الفصل الثاني
المعجزة والكرامة

- تعريف الكرامة .

- وجود الكرامة .

- الفارق بين المعجزة والكرامة .

تعريف الكرامة :

لقد عرف القدماء الكرامة تعريفات عدة تدور في مجملها حول نفس المعنى فقد عرفها عبد الكريم الفوي بأنها«أمر خارق للعادة تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي،كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم»[1] .

وأرى أن اشتراطه أن تكون(على يد عبد ظاهر الصلاح)هو في حكمنا على الكرامة بأنها كرامة أي في معرفتنا لها لا في وجودها لأن الكرامة تشترط الصلاح في الظاهر والباطن.

وقوله(ملتزم لمتابعة نبي)يغني عن قوله «كلف بشريعة مصحوب بصحيح الاعتقاد» .

ولا يخرج المعجزة التي تكون على يد أنبياء ليسوا بأصحاب شرائع جديد كأنبياء بني إسرائيل وقوله(أولم يعلم) أراه متعارضا مع هدف الإكرام .

وزاد بعضهم«ليس بنبي في الحال ولا في المآل»[2]ليخرجوا المعجزةوالإرهاص

واشترط ابن عربي العلم بها حيث يقول:[3] «ولا يصح كون ذلك كرامة إلا بتعريف إلهي لا بمجرد خرق العادة» وهو صحيح .

وأرى أن التعريف الصحيح للكرامة:هي أنها أمر خارق لعادة عامة الخلق أجمعين يجريه الله على يد عبد صالح غير مدع للنبوة إكراما له .

وقولنا:«أمراً» تجنبا لذلك الخلاف الشكلي الذي وقع فيه المتكلمون من أنه هل الإكرام كما يكون بالفعل يكون بعدم الفعل؟أم أن الإكرام إنما يكون في الفعل فقط ويؤول غيره إليه.

وقولنا«خارقا للعادة»المقصود به عادة عامة الخلق أجمعين دون خاصتهم وهم الملائكة والأنبياء والأولياء.فقد تكون خارقة لعادتهم وقد لا تكون.

واستثناء الملائكة لأن الله تعالى قد يجعلهم أسبابا في حدوث بعض الكرامات، ومن ثم فقد تكون الكرامة خارقة لعادة الملائكة وقد لا تكون .

---

(١) عبد الكريم الفوى : عقائد التوحيد عن تحفة المريد على الجوهرة جـ ١ ص ٧٣ .

(٢):السنوسى :شرح الكبرى ص ٤٤٨ .

(٣) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٦٩ .

واستثناء الأنبياء لأن كل كرامة لولي هي معجزة لنبيه عليه السلام.

واستثناء الأولياء لأنه قد يشارك بعضهم البعض في بعض الكرامات ومن ثم فقد تكون كرامة الولي خارقة لعادة غيره من الأولياء وقد لا تكون.

وكونها أمراً خارقا لعادة عامة الخلق أجمعين المقصود به أيضا عادتهم. «في أنفسهم أو في غيرهم» لأن الإسراء مثلا وإن لم يكن خارقا لعادة الجن في أنفسهم وإن لم يكن خارقا لعادة الإنس في غيرهم إلا أنه خارق لعادة الإنس والجن في الإنس.

وقولنا«تجري على يد عبد» يخرج الخوارق العامة التي لا تكون على يد أحد من الخلق كخلق السموات والأرض مثلا.

وقولنا«غير مدع للنبوة»يخرج المعجزة وقولنا«إكراما له» يحدد هدف الكرامة وهي الإكرام لا مجرد التخليص من المحن والبلايا كالمعونة، وإن صاحب هذا الهدف أنها دليل على صدق نبوة النبي الذي يتبعه الولي صاحب الكرامة.

وقولنا«إكراما له» يخرج كذلك الإرهاص الذي قد يكون خارقا للعادة أيضا كالكرامة تماما ولا يكون الفرق بينه وبين الكرامة إلا أن الكرامة هدفها الأساسي الإكرام، والإرهاص وإن كان يهدف للإكرام أيضا إلا أن هدفه الأساسي هو لفت الأنظار إلى شخص نبى المستقبل والإرهاص بنبوته.

حقيقة وجود الكرامة

اختلف العلماء في حقيقة وجود الكرامة فالمعتزلة ينكرونها، وأهل السنة يثبتونها، وبقولهم قال أبو الحسين البصري من المعتزلة. وصاحبة محمد الخوارزمي[1] «واختلف الروافض في ذلك ففرقة منهم أجازتها وفرقة منعتها»[2].

والكرامة جائزة عقلا، واردة سمعا.

حكاها القرآن عن: آصف بن برخيا، وزير سليمان عليه السلام في قوله

---

(١) انظر ـ الرازى: الأربعين جـ ٢ ص١٩٩. و التفسير الكبير جـ١٤ ص ١٩٦. و الجوينى: الإرشاد ص٢٦٦. (٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ ١ ص ١٢٣.

تعالى ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا ءاتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾[1]

ورواها كذلك عن الخضر ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناها من لدنا علما﴾[2]فقتل الغلام، وخرق السفينة، وبنى الجدار بلا أجر.

وحكاها كذلك عن مريم ـ عليها السلام ـ في قوله تعالى﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا﴾[3]وفي قوله﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾[4] وفي قوله﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله،إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[5] .

وحكاها القرآن كذلك عن الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه﴿قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم.قال بل لبثت مائة عام﴾ [6] .

ورواها القرآن كذلك عن أهل الكهف في قوله تعالى ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾[7] .

وإن كان هناك خلاف في الذي عنده علم من الكتاب الذي نقل عرش بلقيس[8] وكذلك في نبوة بعض هؤلاء السابق ذكرهم [9] .

ووردت الكرامة كذلك؛ في السنة النبوية في كثير من الأحاديث الشريفة .

ففي الصحيحين عن النبي ـ ﷺ ـ:«لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر»[10] .

وعنه ـ ﷺ أنه قال، قال تعالى «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[11]

---

(١) النمل : ٤٠ . (٢) الكهف : ٦٥ .(٣) مريم :١٧ . (٤) مريم : ٢٥ . (٥) آل عمران : ٣٧ .
(٦) البقرة:٢٥٩. (٧) الكهف: ٢٥ . (٨) انظر الرازى : التفسير الكبير جـ٢٤ ص ١٩٧.
(٩)انظر عبد الفتاح الفاوى : العقيدة ص ١٦٤ : ١٧٠ . (١٠) رواه البخارى:فى صحيحه فى الباب(٦) من كتاب فضائل الصحابة والباب(٥٤) من كتاب الأنبياء، ومسلم فى صحيحه برقم(٢٣) من كتاب فضائل الصحابة،والترمذى فى سننه فى باب(١٧)من كتاب المناقب،وأحمد فى المسند جـ ٦ ص ٥٥.
(١١) رواه البخارى فى صحيحه فى باب(٣٨)من كتاب الرقاق .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ - قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى ابن مريم - عليه السلام - وصبي في زمن جريج الناسك. وصبي آخر...»[1].

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ.. خرج ثلاثة فغيمت عليهم السماء. فدخلوا غاراً فجاءت صخرة من أعلى الجبل حتى طبقت الباب عليهم، فعالجوها، فلم يستطيعوها فقال بعضهم لبعض لقد وقعتم في أمر عظيم، فليدع كل رجل بأحسن ما عمل لعل الله تعالى أن ينجينا من هذا.... فتدحرجت الصخرة فخرجوا يمشون»[2].

وفي حديث الغلام الذي ترك الساحر، وأتى الراهب الذي رواه مسلم - يقول ﷺ - «وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء»[3] وغير ذلك من الأحاديث كثير.

وورد في الآثار عن كثير من الصحابة، وتابعيهم وإلى يومنا هذا الكثير من الكرامات.

فعمر بن الخطاب وهو في المدينة يرى سارية بن حصن وجيشه في آسيا الصغرى ويصيح وهو على المنبر يوم الجمعة محذراً سارية، بقوله يا سارية الجبل الجبل وسمعه سارية وجيشه، واستجاب لتحذيره[4].

ولا يقال بالطبع إن ما حدث لعمر هنا هو نوع من الجلاء البصري وما حدث لسارية هو نوع من الجلاء السمعي[5] لأن كل جيش سارية سمع عمر، ولا يعقل وجود الجلاء السمعي في مثل هذا العدد ولمرة واحدة لا يتكرر بعدها.

---

(١) انظر البخاري: في صحيحه في الباب (٤٨) من كتاب الأنبياء ومسلم في صحيحه في الباب(٨) من كتاب البر وأحمد في المسند جـ٢ ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في الباب (١٢) من كتاب الإجارة وأحمد في المسند جـ ٢ ص ١١٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في الباب(٧٣) من كتاب الزهد وأحمد في المسند جـ ٦ ص ١٧.

(٤) انظر الرازي: التفسير الكبير جـ٢١ ص٨٧ وانظر ابن القيم: الروح ص٣٥٧ وابن كثير: البداية والنهاية ١٤٣/٧ ـ ١٤٤ وقال ابن كثير وهذا إسناد حسن ووافقه الألباني.

(٥) انظر المزيد من التفاصيل عن الجلاء السمعي والبصري: د.رءوف عبيد: الإنسان روح لا جسد جـ١ ص١٦٦.

وخالد بن الوليد أكل السم بعد تسمية الله وما ضره [1] .

والعهد الجديد كذلك يثبت الكرامات وفي أكثر من موقع، فقد ورد فيه على لسان المسيح عليه السلام: «الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها لأني ماض إلى أبي» [2] .

وورد في العهد القديم كذلك كثير من الكرامات .

منها قصة الفتيان الثلاثة الذين ألقوا في النار فلم تؤذهم [3] ومنها قصة الكهنة حاملي تابوت الرب الذين بمجرد أن وطئت أقدامهم نهر الأردن توقفت المياه وانقطعت تماما وظل الكهنة واقفين في وسط النهر حتى تم عبور الشعب بأكمله للنهر مقابل أريحا [4] .

ومن ثم فإن جعل من جعل ما ثبت من الكرامات في القرآن والسنة من الأمور الخاصة التي لا يقاس عليها، فلا دليل عليه لا من قرآن ولا من سنة، ولا من واقع مشاهد .

يقول ابن تيمية: والكرامة «مشهودة لمن شهدها متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء. وقد شهدها خلق كثير لم يشاهدوا معجزات الأنبياء فكيف يكذبون بما شهدوه، ويصدقون بما غاب عنهم ويكذبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره؟» [5] .

ثم كيف ينكر الكرامة قوم وهم لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤى الصادقة فإن هذا متفق عليه ثم إن الله تعالى قد يخص بعض عباده بإجابة دعائه أكثر من بعض، ويخص بعضهم بما يريه من المبشرات أكثر من غيره .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه قال «لم يبق من النبوة إلا

---

(١) انظر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢١ ص ٨٩ .

(٢) يوحنا - الأصحاح الرابع عشر آية ١٢ .

وانظر أعمال الرسل ٢/٣-٧، ٤٠/٩ و١٦/١٨، ١٢/١٩، ١٠/٢٠-١٢ .

(٣) انظر سفر دانيال ٣ /٨ - ٢٧ .

(٤) انظر سفر يوشع ٣ / ١٤ - ١٧ .

(٥) ابن تيمية : النبوات ص ٢ .

المبشرات، قالوا، وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة»[1] .

وثبت كذلك في الصحيح عنه ـ ﷺ ـ أنه قال«رب أشعث مدفوع الأبواب لو أقسم على الله لأبره»[2]. ذكر ذلك لما أقسم أنس بن النضر أنه لا تكسر ثنية الربيع فاستجاب الله ذلك، وأيضا فإن منهم البراء بن مالك أخو أنس بن مالك، وكانوا إذا اشتدت الحرب يقولون يابراء اقسم على ربك فيقسم على ربه فينصرون، والقسم قيل هو من جنس الدعاء لكن هو طلب مؤكد بالقسم، فالسائل يخضع ويقول اعطني، والمقسم يقول عليك لتعطني، وهوخاضع سائل. لكن من الناس من يدعى له من الكرامات مالا يجوز أن يكون للأنبياء. كقول بعضهم إن لله عبادا لو شاءوا من الله أن لا يقيم القيامة لما أقامها وقول بعضهم إنه يعطى كن أي شيء أراده قال له كن فيكون، وقول بعضهم لا يعزب عن قدرته ممكن كما لا يعزب عن قدرة ربه محال[3] . وهذا بالطبع باطل

ثم«إن تشريف الله تعالى عبده بمعرفته ومحبته أعظم وأعلى من إعطائه رغيفا في المفازة أو سقيه شربة من الماء، وإذا لم يبعد الأول، كيف يبعد الثاني؟»[4] .

«والملك الذي يصدق مدعي الرسالة بما يوافقه وبما يطابق دعواه لا يمتنع أن يصدر مثله إكراما لبعض أوليائه، ولا يقدح مرام الإكرام في قصد التصديق إذا أراد التصديق»[5] .

والمنكرون للكرامة يزعمون أن قول النبي لا يأتي أحد بمثل ما أتيت به يمنع من وقوع شيء من معجزات الأنبياء على أيدي الأولياء لئلا يؤدي إلى تكذيب من ثبت صدقه، واستدلالهم باطل لأنه يجوز أن تتكرر المعجزة الواحدة على يد أكثر من نبي دون أن يطعن ذلك في التحدي وصدق أي منهم بل كل منهم يصدق الآخر إذ معنى التحدي : لا يأتى كاذب بمثل ما أتيت به .

---

(١) رواه البخارى : فى صحيحه جـ ٩ ص ٤٠ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه فى الباب (١٣٨) من كتاب البر .

(٣) انظر ابن تيمية : النبوات ص ٢٦٧ .

(٤) الرازى : الأربعين جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(٥) الجوينى : الإرشاد ص ٢٦٩ .

وإذا كانت آيات الأنبياء هي شهادة من الله، وإخبار منه بنبوتهم، فلا تجب أن تكون في محل النبوة، ولا زمانها، ولا مكانها، لكن يجوز ذلك وإذا كانت كرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول فكرامات الأولياء هي من آيات الأنبياء، فإنها مختصة بمن شهد لهم بالرسالة، وكل ما استلزم صدق الشهادة بنبوتهم فهو دليل على صدق هذه الشهادة سواء كان الشاهد بنبوتهم المخبر بها هم أو غيرهم، بل غيرهم إذا أخبر بنبوتهم وأظهر الله على يديه ما يدل على صدق هذا الخبر، كان هذا أبلغ في الدلالة على صدقهم من أن يظهر على أيديهم [1] .

وإذا كان هؤلاء المنكرون للكرامات يقولون إن ما جرى لمريم، وعند مولد الرسول هو إرهاص أي توطئة، وإعلام بمجئ الرسول، فما خرقت العادة في الحقيقة إلا لنبي، فإنه إذا كان ما تقدمه ـ على قولهم ـ من معجزاته فلما لا يكون ما تأخر عنه كذلك على سبيل الكرامة على يد اتباعه .

واحتج المنكرون بأنه لو جاز ظهور هذه الخوارق في حق بعض الأولياء لجاز ظهورها في حق الباقين، وعلى هذا التقدير يخرج انخراق هذه العادات عن كونه دليلا على النبوة، وعن كونه دليلا على الولاية .

وفاتهم أنه إذا جاز وقوع خوارق العادات الكثيرة نسبيا في حق الأنبياء دون أن تصبح عادات فلما لا يجوز ذلك في حق الأولياء .

والله تعالى يقول: [2] ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ ويقول على لسان إبليس [3] ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ .

وإذا حصلت القلة فيهم لم يكن ما يظهر عليهم من الكرامات في الأوقات النادرة قادحا في كونها على خلاف العادة .

واحتج المنكرون بأنه لو ظهرت هذا الخوارق على النبي وعلى غيره لم يبق لظهورها وقع ولا مرتبة، كما أن المنصب الذي يصل إليه الشريف والخسيس فإنه لا يبقى له وقع .

---

(١) انظر ابن تيمية : النبوات ص ١٤٢، ٢٥٥ ، و الفرقان ص ١٢٩ .
(٢) سبأ :١٣ . (٣) الأعراف : ١٧ .

وجواب ذلك: أن ما بين المعجزات والكرامات من الفروق كثير فليس معنى أن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم أن لا فرق بينهما فالكرامات نوع خاص من المعجزات، وكل كرامة معجزة وليس كل معجزة يمكن أن تكون كرامة .

واحتج المنكرون بأن تجويز الكرامات يفضي إلى القول بالسفسطة لأنا إذا جوزنا الكرامات فلعل الله تعالى قلب الجبل ياقوتا كرامة لبعض الأولياء ولعله جفف البحر كرامة لولي ثان ولعله خلق هذا الإنسان الشيخ في هذه الساعة كرامة لولي ثالث، وقس على ذلك .

إلا أن منكر الكرامة يلزمه ذلك الإشكال أيضا لأنه إن أثبت للعالم فاعلاً مختاراً، فلعل ذلك الفاعل فعل هذه الأمور من قلب الجبال ذهبا، وقلب البحار دما، وما يشبهه، إما من غير رعاية مصلحة عند من لا يوقف فاعلية الله تعالى على رعاية المصلحة، أو لمصلحة لا نعرفها نحن عند من يوقف فاعلية الله تعالى على رعاية المصالح. وأما من ينكر الفاعل المختار فيلزمه هذا الاحتمال أيضا، لأن سبب حدوث الحوادث في هذا العالم على مذهبه تشكلات فلكية واتصالات كوكبية، ومن ثم فلا يبعد أيضا أن يحدث في الفلك تشكل غريب يوجب حدوث هذه الحوادث في هذا العالم، فثبت: أن هذا الإشكال لازم على كل الفرق [1] .

ولكن لما كان الشيء قد يكون معلوم الجواز والإمكان، ومع ذلك يكون الجزم والقطع حاصلا بأنه لم يوجد، ولم يحصل [2] آمنا من ذلك الاحتمال وآمنا بوقوع الكرامات .

ثم إن إكرامه ـ تعالى ـ لأحد خلقه لا يتعارض مع حكمته في خلقه، فلا يؤدي إلى مثلا هذا الخلل في نظام الخليقة أبداً، لأن إكرامه من حكمته تعالى .

واحتج المنكرون بأنه لو ظهرت الكرامات على إنسان ثم ادعى ذلك الإنسان على أحد مالا، فإما أن يطالبه بالبينة أولا يطالبه ولا يجوز أن يطالبه، لأنه ظهر بتلك الكرامة كمال حاله، ودرجته عند الله ومتى كان كذلك امتنع أن يكون في ادعائه المال على الغير كاذبا .

ولا يجوز أن لا يطالب بالبينة لقوله عليه السلام: «البينة على المدعي،

(١) انظر الرازى : الأربعين جـ ٢ ص٢٠٣ : ٢٠٥ .
(٢) انظر الرازى : النبوات ص ١٥٧ .

واليمين على المدعى عليه»[1] ولما بطل القسمان، علمنا أنه لا يجوز ظهور الكرامة.

وجواب ذلك أن الكرامة وإن كانت لا تظهر على معلن بفسقه، فلا تشهد بالولاية على قطع. إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب، وذلك لم يجر لولي في كرامة اتفاقا.

وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقول [2].

وابن حزم ممن ينكرون كرامات الأولياء ويرى أن «ما ذكر عمن ليس نبيا من قلب عين أو إحالة طبيعة فهو كذب إلا ما وجد من ذلك في عصر نبي فإنه آية لذلك النبي، وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهر فيه الحنين، والذراع الذي ظهر فيه النطق، والعصا التي ظهرت فيها الحياة. وسواء كان الذي ظهرت فيه الآية صالحا أو فاسقا»[3].

وكلام ابن حزم باطل لمخالفته المتواتر من الكرامات في كل زمان ومكان ثم إن من الكرامات ما يستحيل اشتباهه بالمعجزات لفقدانه شروطها الأساسية، فكرامات الأولياء بالرغم من كونها معجزات لأنبيائهم إلا أنها تخالفها في كثير من الشروط.

فواقعة أهل الكهف مثلا يستحيل أن تكون معجزة لنبي من الأنبياء لأنها لم تحدث على يد نبي من الأنبياء ولم يكن أي نبي على علم بها وقت حدوثها وأصحاب الكهف «اجتهدوا في إخفائها»[4].

حيث قالوا: ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾[5] وليس هذا هو منطق المعجزة في الغالب كما سبق بيانه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في الباب(٦) من كتاب الرهن، والترمذي في سننه في الباب(١١) من كتاب الأحكام، وابن ماجة في سننه في الباب(٧) من كتاب الأحكام.
(٢) انظر الجويني: الإرشاد ص ٢٧١. وابن تيمية: النبوات ص ٥. والرازي: الأربعين جـ٢ ص٢٠٥.
(٣) ابن حزم: الفصل جـ٥ ص١٠٧.
(٤) الرازي: الأربعين جـ٢ ص ٢٠٣.
(٥) الكهف: ١٩.

ثم إن الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لأنهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الدعوى إلا إذا بقوا طول هذه المدة وعرفوا أن هؤلاء الذين جاءوا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة سنين وتسع سنين فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لأحد من الأنبياء فلم يبق إلا أن تجعل كرامة للأولياء وإحسانا إليهم.

وكذلك الحال مع مريم عليها السلام، فما حدث لها يمتنع كونه معجزة لمن عاصرها من الأنبياء، فظهور جبريل عليه السلام لها وحبلها من غير ذكر ما كان يطلع عليه أحد إلا مريم فكيف يمكن جعل هذه الأشياء معجزة لزكريا عليه السلام؟

ومريم عليها السلام في الوقت الذي كان يقول جبريل عليه السلام لها ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾[1] ما كان أحد من البشر هناك حاضرا بدليل قوله تعالى: ﴿فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوما﴾[2] فبطل القول بأن هذه الأشياء معجزة لزكريا عليه السلام، وهي لم تحدث على يديه.

وزكريا - عليه السلام - كان غافلا عن كيفية حدوث هذه الأشياء. بدليل قوله تعالى ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله﴾[3] فدل هذا على أن ذلك ما كان معجزة لزكريا عليه السلام ثم إنه تعالى ذكر هذه الخوارق في معرض تعظيم حال مريم، ولم يذكر معها ما يشعر بجعلها معجزة لأحد من الأنبياء ولو كان المقصود منها إظهار تصديق زكريا لا إظهار كرامة مريم لكان ذكر زكريا عند هذه الخوارق أولى من ذكر مريم[4]

وأنكر قوم الكرامات بدعوى أن أكثر ما يروى منها ليس عن الصحابة والأولين بل أكثره عن المتأخرين وطعنوا في نقلها وفي إمكانها وحجتهم في ذلك

---

(١) مريم : ٢٥ . (٢) مريم : ٢٦ . (٣) آل عمران : ٣٧ .
(٤) انظر : الرازي : الأربعين جـ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٢ .

باطلة لأن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه الله منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته. ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة بخلاف من تجري على يديه الخوارق لهدي الخلق فهؤلاء أعظم درجة[1] .

ويعلل ذلك ابن تيمية أيضا بقوله«فكرامات الأولياء هي من آيات الأنبياء فإنها مختصة بمن شهد لهم بالرسالة، وكل ما استلزم صدق الشهادة بنبوتهم فهو دليل على صدق هذه الشهادة سواء كان الشاهد بنبوتهم المخبر بها هم أو غيرهم إذا أخبر بنبوتهم وأظهر الله على يديه ما يدل على صدق هذا الخبر»[2]. ومن ثم ففي حالة وجود النبوة والمعجزة يقل الاحتياج للكرامة، من أجل الهداية .

وينقل ابن خلدون تعليلا لذلك عن أهل التصوف إذ يقولون:«إنه يقل في زمن النبوة [خرق العادة على سبيل الكرامة] إذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي»[3] .

ويعلل ذلك ابن عربي بأن:

- ترك الكرامة - باستثناء العلم بالله - قد يكون ابتداء من الله وهو أنه عز وجل لا يمكن هذا الولي في نفسه من شيء من ذلك جملة واحدة مع كونه من أكابر عباده .

- وقد يكون هذا الولي أعطاه الله تعالى في نفسه التمكن من ذلك فيترك ذلك كله لله فلا يظهر عليه منه شيء أصلا [4] .

ويستشهد ابن عربي على ذلك بأن الشيخ أبو عبد الله بن قايد لما سأل الشيخ أبا السعود بن الشبل لم لا تتصرف؟فقال تركت الحق يتصرف لي كما يشاء، يريد قوله تعالى آمرا﴿فاتخذه وكيلا﴾[5] - [6] .

---

(١) انظر ابن تيمية : الفرقان ص ١٣٨ .

(٢) السابق ص ١٤٢ وانظر الشهرستاني:نهاية الإقدام ص٤٩٧ - ٤٩٨.

(٣) ابن خلدون:المقدمة ١١٠ . (٤) انظر ابن عربي : الفتوحات المكية جـ٢ ص ٣٧٠ .

(٥) المزمل :٩ . (٦) انظر ابن عربي : فصوص الحكم جـ١ ص ١٢٨ .

ويفسر ابن عربي ذلك بأنه إذا كانت«الأمور مقررة أزلاً ولا قوة في الوجود أياً ما كانت تستطيع أن تمحو كلمة واحدة مما خطته يد القدر ففيم إذن يتصرفون؟ ولم يتصرفون»[1] فإذا كان الموجود الحقيقي هو الحق وحده، فإذا آنس الإنسان من نفسه قوة بعد ضعف، فالحق واهب هذه القوة، بل هو صاحبها ومالكها في صورته فمن الجهل وسوء الأدب مع الله التصرف بها.

والتفسير الصوفي الذي وضعه ابن عربي لقوله تعالى: ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**﴾[2] يفهم فيه الشيبة على أنها رمز لحالة النضوج في المعرفة الصوفية[3].

ويوضح ذلك ابن عربي بأن المعرفة لا تترك للهمة تصرفا فكلما علت معرفة الولي نقص تصرفه بالهمة[4].

لأن الهمة لا تفعل إلا بجمعية القلب أي تركيزه وتوجيه نشاطه الروحي نحو أمر من الأمور أو شيء من الأشياء بقصد التصرف فيه حسبما يريد العارف، ولكن هذه الجمعية القلبية لا تتم أبداً لصاحب المعرفة الكاملة، لأن شعوره بالعجز والقصور وإدراكه أن ما أودع فيه من القدرة على التصرف في الأشياء ليس له وأنه مجرد أداة في يد الخالق يقفان حائلا دون حصول هذه الجمعية في قلبة وإذا لم تحصل الجمعية القلبية في العارف لا يحدث التصرف[5].

وبصرف النظر عن صحة كلام ابن عربي هذا أو عدم صحته فما يعنينا هنا أنه حتى الصوفية أنفسهم ممثلين في شيخهم الأكبر الملقب بسلطان العارفين لا يربطون بين الكرامة والولاية من حيث أن الكرامة تشترط الولاية أما الولاية فلا تشترط الكرامة.

والكرامة إن ظهرت على يد الولي فيرى ابن عربي أنه يجب عليه سترها

---

(١) أبو العلا عفيفي : التعليقات على فصوص الحكم لابن عربي جـ ٢ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢) الروم : ٥٤ .

(٣) انظر أبو العلا عفيفي : التعليقات على فصوص الحكم لابن عربي جـ ٢ ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٤) انظر ابن عربي : الفصوص جـ١ ص ١٢٧ .

(٥) انظر أبو العلا عفيفي : التعليقات على فصوص الحكم جـ ٢ ص ١٥٧ .

لأن«هذا هو مذهب الجماعة لأنه غير مدع ولا ينبغي له الدعوى فإنه ليس بمشرع، وميزان الشرع موضوع في العالم قد قام به علماء الرسوم أهل الفتاوى في دين الله»[1] .

ولا يستثني ابن عربي من ذلك إلا ما يقيمه الولي«في زمانه نيابة عن الرسول في المعجزة والآية على صدقه فجاء بها لأقامة الدليل على صدق الشارع والدين لا على نفسه أنه ولي بخرق هذه العادات»[2] .

ولذلك يقول ابن عربي[3] «والكرامة عند الاكابر من رعونات النفوس إلا على حد ما ذكرناه» .

وأنكر قوم الكرامة. وقالوا إن علم الكرامات فرع يؤاخي علم الأساطير، ويقترب من علم تفسير الأحلام والأمثال وسائر معطيات اللاوعي الجماعي[4] وليس لهم في ذلك أي دليل من عقل أو شرع أو واقع مشاهد بل كل ذلك يعارضهم فيما ذهبوا إليه كما سبق بيانه .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

نود الإشارة في البداية إلى أن ما سبق اعتباره من أن كرامات الأولياء معجزات لأنبيائهم لا يعطي الكرامة كل شروط المعجزة بل تظل الكرامة كرامة والمعجزة معجزة فلا يعني اعتبار الكرامة للولي معجزة لنبيه من وجه اعتبارها من كل وجه فهناك الكثير من الفروق بين المعجزات والكرامات .

فهناك من يرى أن شرط الكرامة الخارقة للعادة أن تجري من غير إيثار واختيار من الولي، وهذا غير صحيح .

ومذهب المحققين جواز وقوع الخوارق كلها على يد الولي باختياره وبغير

---

(١) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٧٠ .

(٢) السابق جـ ٢ ص ٣٧١ .

ويحكى ابن عربى فى ذلك قصة رآها بنفسه انظر مبحث التأويل (الفصل الرابع من الباب الرابع) .

(٣) السابق جـ٢ ص ٣٧١ .

(٤) انظر على زيعور:الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم .

اختياره[1] وهو ما يشهد له ما تواتر من الكرامات .

ومن الناس من فرق بين معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء بفروق ضعيفة، مثل قولهم: الكرامة يخفيها صاحبها أو الكرامة لا يتحدى بها، ومن الكرامات ما أظهرها أصحابها كإظهار العلاء بين الحضرمي المشي على الماء وإظهار عمر مخاطبة سارية[2] على المنبر و إظهار أبي مسلم لما ألقي في النار أنها صارت عليه برداً وسلاما[3] .

ومنها ما يتحدى بها أصحابها على أن دين الإسلام حق كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم[4] وكالغلام الذي أتى الراهب وترك الساحر، وأمر بقتل نفسه بسهمه باسم ربه وكان قبل ذلك قد خرقت له العادة فلم يتمكنوا من قتله[5] .

ورأى آخرون أن الفارق بينهما هو وقوع المعجزة مع دعوى النبوة، والكرامة

---

(١) انظر الجويني: الإرشاد ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ . وانظر كذلك السنوسي : شرح الكبرى ص ٤٤٦ : ٤٤٨ .

(٢) حسن: ذكره ابن كثير في البداية(١٣/٧) وقال هذا إسناد حسن ووافقة الأستاذ الألباني بوخرجه كذلك ابن الأثير في أسد الغابة(٦٥،٥) وله طرق ارجع إليها في السلسة الصحيحة للأستاذ الألباني .

(٣) ذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمته بوعنه ابن الجوازي في صفوة الصفوة(٢١٣،٢٠٨/٤) وعند الحافظ في التهذيب(١٢ /٣٥،٢٣٦) . (٤) أخرجه الهيثمي في المجمع (٣٥٠/٩) وقال رواه أبو يعلى والطبراني بوأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح بوهو مرسل . (٥) رواه مسلم في صحيحه في الباب(٧٣) من كتاب الزهد وأحمد في المسند جـ ٦ ص١٧ . والفرق بين معجزة الإكرام كالمعراج مثلا وبين الكرامة ـ والتي هي أيضا معجزة للنبي الذي يتبعه الولي لأنها لم تحدث إلا بفضل اتباع الولي للنبي ـ وخاصة إن قام بها الولي للدلالة على صدق النبي . أن المعجزة هدفها الأول تصديق النبوة أو زيادة التصديق والإيمان . والإيمان يزيد يقول تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من ءاياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء :١ . أي أن هدف الإسراء هو رؤية الآيات ورؤية الآيات تزيد الإيمان يقول تعالى﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ الأنفال : ٢ . وها هو إبراهيم عليه السلام يقول﴿رب أرني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ البقرة:٢٦٠ . أي ليزيد إيماني ويتحول من علم اليقين إلى عين اليقين والمعجزة لا تشترط أن تخاطب جميع المكلفين وليس هناك حد عقلي أو شرعي للقلة والكثرة في عدد المكلفين الواجب تواجدهم لرؤية المعجزة ومن ثم يكفي فيه الواحد حتى وإن كان هو نفس النبي صاحب المعجزة طالما كانت هناك دلائل أخرى على صدق النبوة . أما الكرامة فهدفها الأساسي الإكرام وهو مقدم على هدف التصديق لأن الله تعالى قادر على بعث الرسل إن كانت البشريه في حاجة إلى مزيد من البراهين على صدق الرسالة أما بعد ختم النبوة فالمعجزة الخالدة تغني عن أي معجزة أخرى. وبالرغم من ذلك رحمة من الله تعالى بعباده جعل الكرامة للولي إكراما له أولا وتصديقا لنبيه ثانيا. وعلى أية حال فالفارق بين معجزة الإكرام والكرامة وخاصة الكرامة المقامة من الولي للدلالة على صدق النبي فارق هين جداً .

ليس معها دعوى نبوة وإن كان معها دعوى فدعوى الولاية لا النبوة[1] وذلك صحيح لأن من كرمات الأولياء ما يماثل معجزات الأنبياء تماما ولا يكون الفارق إلا بالدعوى .

وأضيف أن بعض المعجزات والكرامات يمكن أن يفرق بينهما بالنظر إلى درجة خارقية كل منهما فمن معجزات الأنبياء ما لا يكون مثله أبداً للأولياء، ومنها ما يشابه ما يكون للأولياء ومنها ما يماثل ما يكون للأولياء وهو فرق أراه صحيحا لأن العقل لا يمنع من اختصاص الأنبياء بما لا يكون للأولياء بل يؤيد ذلك لأنا قلنا من قبل إن المعجزة دليل على الصدق ولابد للنبي من دليل على صدقه أما الكرامه، فهي إكرام للولي ولا حاجة للولي لمعرفة الناس أنه صادق ولكن حاجتهم في العلم بأن النبي صادق وشرعه من عند الله حتى يتبعوه فيهتدوا .

والعقل لا يمنع كذلك من وجود معجزات للأنبياء تماثل كرامات الأولياء طالما كانت الكرامات تدل على صدق الأنبياء إذا حدثت على يد اتباعهم .

ثم إن الواقع يؤكد ذلك، فكان القرآن مثلا معجزة كبرى خاصة بخاتم الرسل وليست لأحد سواه سواء كان نبيا أو وليا وكان في الوقت نفسه إبراء الأكمه والأبرص معجزة لعيسى عليه السلام وكرامة لغيره من الأولياء على ما سنبينه في مبحث الدلالة .

وخالف قوم في ذلك، فأنكر بعضهم المماثلة وليس لهم في ذلك دليل لا من عقل ولا من شرع ولا من واقع مشاهد بل كل ذلك يخالف مذهبهم[2] .

ولم ير بعض آخر إلا المماثلة ولم يفرق بين المعجزة والكرامة إلا من حيث الدعوى فقط، ويجيز أن يحدث على يد الولي كل ما يحدث على يد النبي .

---

(١) انظر الإيجى : المواقف ص ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٧٠ . و الجوينى :الإرشاد ص ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩ .
والسنوسى : شرح الكبرى ص ٤٤٦، ٤٤٨ . والرازى : الأربعين جـ ٢ ص ٢٠٥ .
وابن سينا : رسالة فى الفعل والانفعال ص ٣ .

(٢) انظر مبحث نسبية الدلالة في الفصل الخامس من الباب الرابع .

يقول إمام الحرمين[1] : «فإن قيل: فما الفرق بين الكرامة والمعجزة؟ قلنا: لا يفترقان في جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوءة» .

«وجنس المعجزة يقع من غير دعوى»[2] .

«والمرضي عندما تجويز جملة خوارق العوائد في معارض الكرامات» [3] .

ويقول السنوسي[4]: «ومن الأئمة من فرق بينهما بأن كل ما وقع من الخوارق معجزة لنبي لا يقع كرامة لولي كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص وقلب العصا حية، وفلق البحر أطواداً. . . ومذهب المحققين جواز وقوع الخوارق كلها على يد الولي. . . . وأن الفارق بينها وبين المعجزة. . . دعوى النبوة وعدمها».

ويقول ابن عربي[5] : «واختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يكون كرامة لولي أم لا فالجمهور أجاز ذلك؛ إلا الأستاذ أبا اسحاق الإسفراييني فإنه منع من ذلك وهو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمراً لم يذكره الأستاذ وهو أن نقول إلا إن قام الولي بذلك الأمر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة به» .

وما ذكره ابن عربي أيضا لا يسلم من الخلط بين المستويات لأن ما يقوم به الولي لا يصل أبداً إلى مثل الإتيان بالقرآن فمن المعجزات ما يستحيل أن يكون لغير الأنبياء أبداً وإن جاز كما قلنا أن تقترب بعض المعجزات وتشبه بعض الكرامات، بل وتماثلها أحيانا، إلا أن هناك درجة من المعجزات يستحيل أن تماثلها الكرامات أو تشبهها، لأنه إذا كانت المعجزات منها الكبير ومنها الصغير وكانت الكرامات كذلك متدرجة، فإن الأنبياء أحق بالدرجات العليا من الخوارق لأنهم رسل الله إلى خلقه وهم أحواج إلى هذه الخوارق لهداية أقوامهم .

بل إنه تعالى خص النبي الواحد من الأنبياء بآيات لم يأت بها غيره من الأنبياء .

ولا يطعن في قولنا أن تأييد النبي أعظم من تأييد الولي قول القائل إن

---

(١) الجويني: الإرشاد ص ٢٦٩ . (٢) السابق : ص ٢٧٦ .

(٣) السابق : ص ٢٦٦، ٢٦٧ . (٤) السنوسي : شرح الكبرى ص ٤٤٧ .

(٥) ابن عربي :الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٧٤ .

آصف بن برخيا وزير سليمان ـ عليه السلام ـ استطاع نقل عرش بلقيس وعجز سليمان عن ذلك .

لأنا نقول: إن نقل العرش مختلف فيمن نقله فقيل إنه هو سليمان نفسه عليه السلام، وقيل هو آصف بن برخيا. وقيل غير ذلك[1] وباعتبار أن من نقله هو سليمان ـ عليه السلام، فيكون ذلك حينئذ معجزة لسليمان عليه السلام .

أما إذا اعتبرنا أن الذي نقله هو آصف بن برخيا فلا يناقض ذلك ما سبق أن قلناه عن درجات المعجزة والكرامة، لأن نقل العرش ليس من ذلك النوع من الخوارق الكبرى الذي يختص به الأنبياء وحدهم، بل هو من ذلك النوع الذي يشترك فيه الأنبياء والأولياء[2] بدليل قدرة الجن على ما يقارب ذلك **﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾**[3] .

وإذا كان ذلك كذلك فلا مانع من تميز ولي على نبي بشيء من ذلك لأن المزية لا تقتضي الأفضلية، فتميز الخضر على موسى عليهما السلام لم يجعله أفضل منه، وموسى من أولي العزم من الرسل بدليل قوله تعالى **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾**[4] . «والخضر متنازع في نبوته»[5] .

وليت الأمر يقف عند الخلط بين الكرامة والمعجزة بل تعداه إلى الخلط بين المعجزة والسحر، والكرامة والسحر، حتى إن قوما ذهبوا إلى أن ذلك كله من باب واحد لا يفرق إلا بالدعوى والتحدي وعدمهما، أو بالصلاح والفساد فقط .

يقول السنوسي[6] : «وأما الفرق بين الكرامة وبين السحر فهو أن الكرامة ظهور الخارق على يد عبد ظاهر الصلاح بخلاف السحر فإن الخارق فيه إنما يظهر على أيدي الكفرة والفساق» .

---

(١) انظر الرازى : التفسير الكبير جـ ٢٤ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ .
(٢) انظر نسبية الدلالة في الفصل الخامس من الباب الرابع (٣) النمل : ٣٩ .
(٤) الأحزاب:٧ . وانظر تفسير ذلك:في ابن كثير:تفسير القرآن العظيم جـ٢ ص٤٦٩ .
(٥) انظر ابن حجر العسقلانى :الزهر النضر فى نبأ الخضر ص ٢٣ :٢٥ .
(٦) السنوسى : شرح الكبرى ص ٤٤٧ :٤٤٨ .

ويقول الغزالي[1] : «فإن كان مع التحدي فإنا نسميه معجزة ويدل بالضرورة على صدق المتحدي، وإن لم يكن دعوى فقد يجوز ظهور ذلك على يد فاسق لأنه مقدور في نفسه» .

ويتفق الغزالي مع ابن سينا بل يكاد يتطابق نص كلامه مع قول ابن سينا : «فالذي يقع له هذا في جبلة النفس ثم يكون خيراً رشيداً مزكيا لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء أو كرامة من الأولياء. . . .والذي يقع له هذا الكمال ثم يكون شريراً ويستعمله في الشر فهو الساحر الخبيث»[2] .

وقد رددنا على ذلك في موضع آخر من هذه الدراسة[3]، وهذا الخلط بين مستويات الخارق هو أيضا سبب توهم بعض العلماء أن الكرامة قد تعارض. يقول الفخر الرازي[4] : «يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة» .

والكرامة خارق حقيقي للعادة، ولا تعارض، وإنما الذي يعارض هو المعونة لا الكرامة، و"ما استحقت الكرامة لفظ كرامة[5] .

ثم إنه إذا كان لا فارق بين الكرامة والمعجزة إلا الدعوى، وكانت الكرامة تعارض فمعنى ذلك أيضا أن المعجزة تعارض !

---

(١) انظر الغزالي :الاقتصاد في الاعتقاد ١٢٥ . (٢) انظر الغزالي :معارج القدس ص ١٦٤ .
وانظر كذلك ابن سينا :الإشارات والتنبيهات ص ٨٩٨ :٨٩٩ .

(٣) انظر في شروط المعجزة، اشتراط الدعوى والتحدى واشتراط أن تكون المعجزة خارقة للعادة واشتراط أن تقع على يد فاضل خير من الباب الأول .

(٤) الفخر الرازى :التفسير الكبير جـ٢١ ص٩٣ وانظر كذلك الأربعين جـ٢ ص ٢٠٥ .

(٥) انظر الحديث عن المعونة في الفصل الثالث من الباب الثاني .

الفصل الثالث
المعجزة وأشكال الخوارق الأخرى

المعجـــزة :

- والعـلـــــم
- والإرهـــاص
- والمعـــونـــة
- والإهـــانـة
- والاستـــدراج

المعجزة والعلم

يقول(ما لبرانش): «المعجزة لفظ مشكك، فإما أن يطلق على كل أمر لايخضع للقوانين التي يعرفها الناس، وإما أن يطلق على ما لا يخضع لأي قانون معلوم أو مجهول. فإذا أخذنا بالمعنى الأول، وجدنا المعجزات كثيرة وإذا أخذنا بالمعنى الثاني وجدناها جد قليلة»[1].

والسؤال الآن هو أنها إذا كانت لا تخضع لأي قانون معروف فمن أين لنا أنها لن تخضع لأي قانون يمكن معرفته في المستقبل؟

وأجيب عن ذلك في مبحث دلالة المعجزة[2] وكذلك عند الحديث عن نقد التأويل الطبعي للمعجزة[3] وكذلك عند حديثنا عن عدم الاستقلال الدلالي للمعجزة الحسية[4].

وينبغي التأكيد هنا على أن العلم لا يشكك في المعجزة بل يؤكد وجودها«فمن استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله تعالى ما يحكى من معجزات الأنبياء عليهم السلام، بحال من الأحوال[5].

لأنا«إذا سلمنا بأن في مقدور بعض النواميس الطبعية أن تظفر بالبعض الآخر من غير أن تلغيه أو تلاشيه فلم لا نثق بالأولى أن نواميس فوق الطبيعة التي لا ندرك بعد كنهها، قد استأثرت ببعض النواميس الطبعية التي لازلنا نجهل عنها الشيء الكثير»[6].

وصدق الله العظيم ﴿إنما يخشى الله من عبادة العلماء﴾[7].

---

(١) د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي جـ ٢ص ٣٩١ .

(٢) انظر الفصل الخامس من الباب الرابع .

(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الرابع .

(٤) انظر الفصل الأول من الباب الثالث .

(٥) الغزالي : تهافت الفلاسفة ص ٢٣٧ .

(٦) إبراهيم سعيد : لماذا أؤمن ص ١٣ : ١٤ .

(٧) فاطر : ٢٨ .

المعجزة والإرهاص

والإرهاص هو عبارة عن العلامات الدالة على بعثة نبى قبل بعثه مأخوذ من الرهص ـ بكسر الراء ـ وهو أساس الحائط. فأطلق على هذه العلامات الإرهاص لأنها تأسيس لقاعدة النبوة[1] .

ـ ولا يشترط أن تصل الإرهاصات إلى درجة الخارق الحقيقي .

فرؤيا السيدة آمنة بنت وهب مثلا حين حملت برسولنا ﷺ«أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام»[2]ليس بخارق وهو إرهاص بنبوته ﷺ.

أما قصة أصحاب الفيل وإهلاك الله تعالى لهم**﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾**[3] فهو خارق حقيقي للعادة ولا يكون مثل ذلك لا لساحر ولا كاهن، وهم في عامة الأزمنة والأمكنة خائفون مطاردون وما يقدرون على أعدائهم، وإنما كانت قصة أصحاب الفيل إرهاصا بنبوته ـ ﷺ ـ لأنه ﷺ«ولد عام الفيل على قول الجمهور»[4] فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجري عليه السبي حملا ووليدا، وليمكن لدينه في الأرض، ثم إنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل عنهم وما هم أهل كتاب ومن ثم لم يمنع الله تعالى الحجاج من هدم الكعبة بعد استقرار الدين .

وقصة أصحاب الفيل حقيقية وردت في القرآن، ولا ينكرها مسلم بل ولا ينكرها عاقل، والقرآن نزل بها على من شاهدها أو تواترت إليه ولم ينكرها أحد .

فالفارق بين المعجزة والإرهاص هو :

١ ـ عدم الدلالة القطعية على النبوة في حالة الإرهاص وقطعيتها في حالة المعجزة..

٢ ـ المعجزة لابد وأن تكون خارقة للعادة ولا يشترط ذلك في الإرهاص .

٣ ـ والمعجزة تكون مع دعوى النبوة والإرهاص بلا دعوى .

---

(١) انظر السنوسى:شرح الكبرى ص٤٤٨ . (٢) الماوردى:أعلام النبوة ص٢٧٣ وأخرجة الحاكم وصححه.
(٣) الفيل : ٣ – ٥ . (٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ ص ٢٤٣ .

والمعونة قيل هي«الخارق الذي يظهر من قبل العوام غير مقرون بكمال عرفان تخليصا لهم من المحن والبلايا»[1] .

وقيل هي«أمر خارق للعادة يظهر على يد مستور الحال تخلصا له من شدة»[2].

وقيل غير ذلك وكلها تعريفات تدور حول نفس المعنى .

وأرى أن المعونة إذا كانت خارقا حقيقيا للعادة فأولى بها أن نسميها كرامة لأنها عندئذ تكون إكراما من الله تعالى .

وهذا بصرف النظر عن صاحبها هل هو ظاهر الصلاح أو مستور الحال لأن الولي نفسه لا يعرف أنه ولي ولا يصح أن يقطع له أحد بالولاية .

يقول إمام الحرمين[3] و«الكرامة وإن كانت لا تظهر على معلن بفسقه، فلا تشهد بالولاية على قطع[4] إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب، وذلك لم يجر لولى في كرامة اتفاقا».

أما إذا لم تصل إلى درجة الخارق الحقيقي فهي معونة لأن الله يعين بها صاحبها فقط .

وإنما كان ذلك كذلك لأنه تعالى قادر على تخليص عبده من جميع المحن والبلايا بالمعونة دون الكرامة .

فإذا كان ما يعطيه الله للعبد ليس مجرد إعانته بل إظهار أمر خارق حقيقي فلا يكون ذلك إلا للإكرام فيسمى كرامة وليس لمجرد المعونة حتى يسمى معونة .

---

(١) الجرجانى : التعريفات ص ٢٥١ .

(٢) عبد الكريم حسن الفوى:عقائد التوحيد من تحفة المريد على الجوهرة ص ٤٧ .

(٣) الجوينى : الإرشاد ص ٢٧١ .

(٤) وخالف فى ذلك بعض العلماء كالأستاذ أبى على الدقاق وتلميذه أبى القاسم القشيرى ـ انظر التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢١ ص ٩٦ .

فإبراهيم عليه السلام مثلا ـ وهو نبي ـ جعل الله له النار بردا وسلاما حتى يكون ذلك معجزاً له عليه السلام وكذلك الحال مع أبي مسلم الخولاني وهو ليس نبي حتى يكون ذلك كرامة له مع أن الله تعالى كان قادراً على إعانته بأن يصرف همة قومه عن حرقه مثلا أو أن يجعل السماء تمطر فتطفئ النار قبل رميه فيها، أو غير ذلك، وهو تعالى قادر على كل شيء ولكنه تعالى إذا أراد أن يجري معجزة على يد نبي أجراها دلالة على صدقه، وإذا أراد أن يكرم عبد من عباده أكرمه بكرامته وإذا أراد إعانته أعانه بإعانته وإذا كان ذلك كذلك بان أن المعونة ليست مقصورة على العوام أو مستوري الحال بل تتعداهم إلى عباد الله جميعا ومنهم الأنبياء .

ولكن إذا كانت المعونة ليست هي الخارق الحقيقي للعادة كما سبق ذكره فهي إما أن تكون خارقا غير حقيقي، أي انها من نفس درجة خوارق السحرة ويمكن معارضتها وإما أن لا تكون بخارق على الإطلاق. كالإعانة على الصبر على المحن والبلايا مثلا .

والإهانة: قيل هي «خارق يظهره الله على يد فاسق مدع النبوة تكذيبا له»[1] .

و«ذكر علماء التاريخ أن مسيلمة الكذاب كان يتشبه بالنبي ﷺ وقد بلغه أن رسول الله - ﷺ- بصق في بئر فغزر ماؤه فبصق مسيلمة في بئر فغاض ماؤه بالكلية، وفي أخرى: فصار ماؤه أجاجا .

وتوضأ مسيلمة وسقى بوضوئه نخلا فيبست وهلكت. وأتي بولدان يبرك عليهم فجعل يمسح رءوسهم، فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه .

ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحها فعمي»[2] .

ويعترض القاضي عبد الجبار على ذلك بقوله: «وذلك مما لا أصل له عندنا. وما هذا حاله فإنه لا يجوز على الله تعالى لأنه إذا أراد تكذيب شخص كان يمكنه ذلك بأن لا يظهر عليه المعجز عقب دعواه، فإحداث شيء آخر والحال ما قلناه يكون عبثا لا فائدة فيه» [3] .

ولا يعنينا هنا في دراستنا مثل هذا الخلاف لأنه حتى بفرض وجود الإهانة فهي لا تشتبه على أية حال بالمعجزة لأنها تكذب المدعي والمعجزة تصدقه .

إلا أن اعتراض القاضي عبد الجبار غير مقبول لأن أقسام حكم الله تعالى لا يحيط بها مخلوق ومن ثم فوجود الإهانة لا يطعن في حكمته تعالى وعلى ذلك فالاعتراض على وجود الإهانة لا يقبل إلا بالطعن في تواترها فقط .

---

(١) عبد الكريم حسن الفوى : عقائد التوحيد عن تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٤٨ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٦ ص ٣٣١ .

(٣) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ٥٧٠ .

المعجزة والاستدراج

ورد ذكر الاستدراج في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[1] .

وللاستدراج مترادفات كثيرة وردت في القرآن كذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾[2] وفي قوله ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾[3] وفي قوله ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾[4] وفي قوله تعالى ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم﴾[5]

فالاستدراج قد يعبر عنه بالمكر والخداع والإملاء والإهلاك .

وفي تعريفه: قيل هو «أن يجعل الله تعالى العبد مقبول الحاجة وقتا فوقتا إلى انقضاء عمره للابتلاء بالبلاء والعذاب»[6] .

وقيل هو «خلق الخارق على يد الأشقياء كالدجال وفرعون والجهلة الضالين المضلين»[7] .

وأرى أن اعتبار كون الاستدراج خارقاً حقيقياً للعادة قول باطل فالخارق الحقيقي لا يكون إلا للأنبياء أو الأولياء فقط وقد سبق بيان ذلك من قبل[8] .

وأقصى ما يحدث على يد الفساق والكفار فهو خارق غيرحقيقي نسبي لقوم دون قوم كالسحر فهو خارق لغير السحرة وغير خارق للسحرة بل معتاد لهم، وما يقوم به الجني هو خارق بالنسبة للبشر لكنه غير خارق بالنسبة للجن. أما الخارق الحقيقي معجزة كان أو كرامة فهو خارق لعادة عامة الخلق أجمعين .

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٢ . (٢) سورة الأعراف : ٩٩ .

(٣) النساء : ١٤٢ . (٤) آل عمران : ١٧٨. (٥) الأنعام : ٤٤ .

(٦) الجرجاني : التعريفات ص ٢٨ .

(٧) السنوسي : شرح الكبرى ص ٤٤٨ .

وانظر كذلك الفوى: عقائد التوحيد عن تحفة المريد ص٤٨ وعبد المنعم الحفني: المعجم الفلسفي ص ١٧ .

(٨) انظر شروط المعجزة ـ مبحث اشتراط الدعوى والتحدى ومبحث اشتراط أن تكون المعجزة خارقة للعادة .

فالإنسان مثلا قد«يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت سواء كان ذلك المخلوق مسلما أو نصرانيا أو مشركا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له أنا الخضر وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى بأرض المشرق والمغرب»[1] .

وأما ما يفرق المعونة عن الاستدراج :

أن صاحب الاستدراج يأنس به ويرى نفسه مستحقا له وحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه، ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة .

أما صاحب المعونة فيحمد الله تعالى عليها أن أعانه في وقت بلائه ويزداد إيمانه .

والكرامة وإن افترقت عن الاستدراج بأنها خارق حقيقي للعادة فتفترق عنه أيضا بأن صاحبها إذا ظهر عليه شيء منها«ضج إلى الله منها وسأل الله ستره. . . وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار إليه فيه ما عدا العلم»[2] .

ولا يستثنى من ذلك إلا ما يقوم به الولي أحيانا نيابة عن النبي في المعجزة «لإقامة الدليل على صدق الشارع والدين لا على نفسه أنه ولي»[3] .

وما ذاك الخوف من الكرامة إلا لأنها يمكن أن يدخلها المكر الخفي من حيث أن الولي قد لا يمكنه التفرقة بين ما هو خارق حقيقي أو خارق غير حقيقي فتلتبس الكرامة مع الاستدراج .ثم أن الكرامة«يمكن أن يجعلها الله حظ عملك وجزاء فعلك، فإذا قدمت عليه يمكن أن يحاسبك بها»[4] .

---

(١) ابن تيمية : الفرقان ص ١٤٢ .

(٢) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ٢ص٣٦٩ . وانظر الفخر الرازى التفسير الكبير جـ٢١ص٩٤ .

(٣) ابن عربى : الفتوحات المكية جـ ٢ ص ٣٧١ .

(٤) السابق جـ ٢ ص ٣٦٩ .